جـامـعـــــة اليرمـــوك
كـــــليـــــــــة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها



خطاب المرأة في القرآن الكريم

"دراسة أسلوبية"

Woman Discourse in the holy quran
Stylistic study

إعداد

بلال عبد الكريم علي الإبراهيم

إشراف الأستاذ الدكتور

مخيمر صالح

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية من جامعة اليرموك / تخصص أدب ونقد

الفصل الدراسي الثاني
1433ه / 2012 م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة الموسومة بـ (خطاب المرأة في القرآن الكريم"دراسة أسلوبية")، والمقدمة من الطالب بلال عبدالكريم علي الابراهيم، وبأشراف الأستاذ الدكتور مخيمر صالح يوم الأثنين 6-8-2012م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور: مخيمر صالح يحيى..........................مشرفا ورئيسا

الأستاذ الدكتور محمود محمد درابسة.......................................عضوا

الدكتور يحيى ضاحي شطناوي...عضوا

الإهداء

أهدي هذا الجهد إلى

من هم بالنسبة لي كالعينين للرأس أبي و أمي

من هم بالنسبة لي كالأصابع لليد أخوتي

من هي بالنسبة لي كالبستان زوجتي

من هو بالنسبة لي كالزهرة اليانعة ابني أسامة

من وضعني على بداية الطريق الزميل علي الطوالبة

بلال عبد الكريم علي الإبراهيم

شكر وتقدير

الشكر لله أولاً الذي بفضله تتم الصالحات، والشكر بعد ذلك لكل من ساعد وتحمل صبر، والشكر لكل من علمني على مدى الأيام، لأن من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

والشكر للأستاذ الدكتور مخيمر صالح الذي تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، ولما كان له من الأثر الواضح في إتمام هذه الرسالة، من تقديم النصح والإرشاد والملاحظات السديدة التي أسهمت في أكمال هذه الرسالة، كما وأتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة الأفاضل والمتمثلة بكل من، الأستاذ الدكتور محمود محمد درابسة، عضوا، الدكتور يحيى ضاحي شطناوي، عضوا، ولا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى جامعة اليرموك، وبالأخص كلية الآداب.

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

الملخص

خطاب المرأة في القرآن الكريم

" دراسة أسلوبية "

جاءت هذه الرسالة في أربعة فصول، جُعل الفصل الأول مدخلاً تعريفياً لماهية الخطاب القرآني وخصائصه، وكان المبحث الأول للحديث عن مفهوم الخطاب في اللغة والاصطلاح.أما المبحث الثاني فذكر فيه أنواع الخطاب القرآني، وفي المبحث الثالث تناول خصائص الخطاب القرآني، والمبحث الرابع تحدث عن خصائص المرأة في ضوء الخطاب القرآني. وفي الفصل الثاني كان الحديث يدور حول المستوى الدلالي والبنائي لخطاب المرأة في القرآن الكريم، وقد قُسّم إلى تمهيد ومبحثين وستة مطالب، أما التمهيد فقد بين فيه أسلوبية حوار القرآن الكريم للمرأة، والمبحث الأول تطرق فيه إلى المستوى الدلالي وتضمن الألوهية، الرسالة، البعث، أما المبحث الثاني فهو المستوى البنائي، ويتضمن الاستفهام، الشرط، التوكيد.

وخصص الفصل الثالث منها للحديث عن المستوى التركيبي وجاء في أربعة مباحث، فالمبحث الأول تناولت فيه التقديم والتأخير، والمبحث الثاني ذكرت فيه الحذف والذكر، وكذلك الفصل والوصل في المبحث الثالث منه، وجعلت المبحث الرابع للتعريف والتنكير.

وكان الفصل الرابع يدور حول الجانب التصويري لخطاب المرأة في القرآن الكريم، وقد وقع في تمهيد وأربعة مباحث في المبحث الأول منه تناولت التشبيه، وفي الثاني منه تناولت المجاز العقلي، والمبحث الثالث كان للحديث عن الاستعارة، وقد تناولت الكناية كذلك في المبحث الرابع.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنّ البحوث القرآنية، رغم تعددها وكثرة جوانبها، تبقى عاجزة عن الإحاطة بكل أسرار هذا الكتاب، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو الكتاب الخالد الذي يتسم بسموّ المعاني، وقوة البيان، وروعة الإعجاز.

حظيت المرأة بنصيب وافر من القصص، في لغة الخطاب القرآني، والقرآن حينما يعرض لقصص المرأة، إنما يعرضها لاستخلاص العبر والعظات، ولتكون دليلاً للأمة المسلمة، ينير لها طريقها، ويهديها إلى سواء السبيل.وبشكل عام، فإن لغة الخطاب القرآنيّ الموجه للمرأة تمّثل نصًّا دلاليًا خاصًا، ينطلق باللغة إلى مستوى يعجّ بالطاقات الإيحائية، والظواهر الجمالية، التي تشكل تربة خصبة لدراسة هذا النص دراسة أسلوبية.

وإذا كانت الأسلوبية فرعًا من اللسانيات الحديثة، التي تعنى بتحليل الأساليب الأدبية،والاختيارات اللغوية، وتهتمّ بدراسة الطريقة الفنية في التعبير عن الدلالات أو المعاني، فإن علم الدلالة يمثل غاية الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية، ويسهم في إزالة الغموض الذي يكتنف اللفظ، عن طريق كشف كلّ الجوانب المحيطة به .

مشكلة الدراسة

أما مشكلة هذه الدراسة، فتكمن في خلو الدراسات القرآنية من دراسة متخصصة للغة الخطاب القرآني وبحسب اطلاع الباحث، تفتقر إلى هذا النوع من البحوث، الذي ينزع إلى دراسة أسلوب الخطاب، وكيفية ما يقال، والظواهر الأسلوبية والدلالية التي يتشكل من خلالها النصّ القرآنيّ.

الدراسات السابقة

في حدود علمي وبعد البحث وقفت على مجموعة من الدراسات السابقة، وهي:

1- العقاد، عباس محمود، المرأة في القرآن.

يتحدث عن شخصية المرأة في القرآن الكريم وشخصية المرأة في الإسلام.

2- الشال، جابر، قصص النساء في القرآن.

3- الشمايلة، غدير، خطاب المرأة في القرآن –دراسة بلاغية–.

تناولت هذه الدراسة خطاب المرأة من الجانب البلاغي.

4 – رانية بنت جميل أبو حنانة، **الخطاب الدعوي** الموجه **للمرأة** المسلمة في القرآن الكريم وأوجه الاستفادة منه في العصر الحاضر، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية.

5 – باسم الأنصاري، قصص النساء في القرآن الكريم، ط.1، دار العلوم للطباعة والنشر.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في عدة أمور منها:

- أنها تعمد إلى إحصاء لغة الخطاب القرآني في المرأة ووصفها وتحليلها، بما يعزز الدراسة الأسلوبية، ويؤكد قيمتها المعجزة التي تفوق كل قيمة.
- أنها ستظهر بلاغة القرآن في خطابه للمرأة بكل صورها.
- بيان الأساليب المفضلة في التعبير القرآني في خطاب المرأة مثل (فأن، والذي).

منهجية الدراسة

تمثلت في دراستي هذه منهج التحليل الأسلوبي الحديث وصفًا وإحصاءً، لأخلص في النهاية إلى تأويل النتائج وتفسيرها، ولعلّ هذا المنهج يعيننا على تحديد الأنماط الأسلوبية للغة الخطاب؛ فهو

يهتمّ بدراسة النص دراسة تحليلية وصفية، وذلك بالاعتماد على المكونات الداخلية دون التركيز على العوامل الخارجية.

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول، وخاتمة ؛ أولها مدخل تعريفي لماهية الخطاب القرآني وخصائصه والفصل الثاني في المستوى الدلالي والبنائي في خطاب المرأة في القرآن الكريم.

والفصل الثالث في المستوى التركيبي في خطاب المرأة في القرآن الكريم وأما الرابع منها فهو في المستوى التصويري في خطاب المرأة في القرآن الكريم.

الهيكل التنظيمي للرسالة:

الفصل الأول: مدخل تعريفي لماهية الخطاب القرآني وخصائصه

- **المبحث الأول:** مفهوم الخطاب في اللغة والاصطلاح.
- **المبحث الثاني:** أنواع الخطاب القرآني.
- **المبحث الثالث:** خصائص الخطاب القرآني.
- **المبحث الرابع:** خصائص المرأة في ضوء الخطاب القرآني.

الفصل الثاني:المستوى الدلالي والبنائي في خطاب المرأة في القرآن الكريم.

أولا: المستوى الدلالي.

- **المبحث الأول:** الإلوهية.
- **المبحث الثاني:** الرسالة.
- **المبحث الثالث:** البعث.

ثانياً: المستوى البنائي.

- **المبحث الأول:** الاستفهام.
- **المبحث الثاني:** الشرط.
- **المبحث الثالث:** التوكيد.
- **المبحث الرابع:** القصر.

الفصل الثالث: المستوى التركيبي.

- **المبحث الأول:** التقديم والتأخير.
- **المبحث الثاني:** الحذف والذكر.

- **المبحث الثالث:** الفصل والوصل.

- **المبحث الرابع:** التعريف والتنكير.

الفصل الرابع: المستوى التصويري.

- **المبحث الأول:** التشبيه.
- **المبحث الثاني:** المجاز العقلي.
- **المبحث الثالث:** الاستعارة.
- **المبحث الرابع:** الكناية.

الفصل الأول

مدخل تعريفي لماهية الخطاب القرآني وخصائصه:

المبحث الأول: مفهوم الخطاب في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: أنواع الخطاب القرآني.

المبحث الثالث: خصائص الخطاب القرآني.

المبحث الرابع: خصائص المرأة في ضوء الخطاب القرآني.

الفصل الأول

مدخل تعريفي لماهية الخطاب القرآني وخصائصه

المبحث الأول

مفهوم الخطاب

أولاً: الخطاب في اللغة:

كلمة خطاب في اللغة مأخوذة من مادة (خطب) وهو: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والخطاب هو مراجعة الكلام،[1] وهو عند ابن فارس: "كل كلام بينك وبين آخر"[2]. ويلاحظ على التعريفين أنهما ركزا على كون الخطاب كلام يتجاذبه طرفان.

وجاء في المعجم المفصل في علوم اللغة بأنه: "الكلام المنطوق عندما يتجاوز الجملة الواحدة طولاً"[3]ويوافقه قول التفتازاني في معناه: "توجيه الكلام إلى الحاضر"[4]وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم: خاطب مخاطبة وخطاباً "تكلم معه" والخطبة: "الشأن الذي يقع فيه المخاطبة"[5]وفي المعجم الوسيط خاطب: "حادث وكلم"، وخاطبه في الأمر أي "حدثه وكلم"، وخاطبه في الأمر أي

---

(1) جمال الدين محمد مكرم ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1986م، ج1. ص360. خليل أحمد خليل، **مفاتيح العلوم الإنسانية**، معجم عربي – أنجليزي، ط.1، دار الطليعة، بيروت، ص182 .

لويس معلوف اليسوعي، **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، الطبعة الجديدة، ص186 .

(2) أحمد ابن فارس، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن. ط2، ج1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986م، ص295.

(3) محمد التونجي، **المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م. ص300.

(4) محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني. **تلخيص المعاني وشرحه مختصر المعاني**. الطبعة الأخيرة. مطبعة البابي الحلبي، د.ت. ص 48.

(5) محمد فؤاد عبد الباقي. **معجم ألفاظ القرآن الكريم**. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1996م. ج2. ص200.

"حدثه بشأنه"[1]. وهو بذلك ينحصر في الحديث والكلام المنطوق، وهو تبعاً لما سبق يكون مكوناً من طرف واحد فقط مرسل أما الطرف الآخر فينحصر في التلقي.

و المعنى يوافق معنى الخطاب عند الأصوليين إذ هو "يدل على ما خوطب به وهو الكلام"[2]. إلا أن هناك وجهة نظر أخرى تنظر إلى الخطاب نظرة أعمق وأوسع من مفهوم الخطاب المتقدم، فالخطاب عند الكفوي يشمل: "الكلام اللفظي أو النفسي الموجه نحو الغير للإفهام"[3]. فهو ذلك قد أوسع دائرة الخطاب قليلاً باعتباره الكلام النفسي نوع أو جزء من الخطاب. وتزداد الدائرة اتساعاً وشمولاً إذا ما عرضت الباحث تعريف البعلبكي للخطاب حيث يقول: "قد يكون الخطاب شفوياً أو تحريرياً ويعالج موضوعاً بشيء من التفصيل"[4]. فهو بهذا التعريف قد سلط الضوء على أجزاء جديدة في الخطاب ألا وهو إمكانية كونه مكتوب غير لفظي، والأهم كون الخطاب يعالج موضوعاً معيناً فهو ليس نثراً أو تعبيراً مطلقاً إنما هو نحو قضية أدبية يسعى إلى علاجها أو الإشارة إليها للوقاية من خطرها أو ما شابه ذلك.

ثانيا: في الاصطلاح: الخطاب من المصطلحات التي اختلف حولها الكتاب والعلماء، فهناك من أسهب ووسع، ومنهم من حصر وأوجز حيث عرفه الكرمي بأنه: "المخاطبة بين شخص وآخر، وهو ما يكلم به الرجل صاحبه"[5].

وقريب من تعريف الكرمي، عرفه الآمدي بقوله: "الخطاب هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"[1]. إلا أن القارئ لهذين التعريفين يلمس اقتصارهما على

---

(1) إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط.** القاهرة: مطبعة مصر، 1960م. ص 242.

(2) إدريس حمادي. **الخطاب الشرعي وطرق استثماره.** ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1994م. ص21.

(3) أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. **معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.** تحقيق: عدنان درويش محمد المصري. ط2. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1982م، ص 194.

(4) رمزي البعلبكي. **معجم المصطلحات اللغوية.** ط1. بيروت: دار العلم للملايين، 1990م. ص 153.

(5) حسين سعيد الكرم. **الهادي في اللغة العربية.** ط1، ج1، دار لبنان للطباعة والنشر، 1411هـ. ص 638.

جزء واحد من أجزاء الخطاب ألا وهو الجزء المنطوق المتحدث به. ويوافقهما الزركشي إلى حد كبير بقوله: "هو الكلام المقصود منه إفهام من هو متهيء للفهم – قال – وعرفه قوم بأنه ما يقصد به الإفهام أعم من أن يكون من قصد إفهامه متهيئاً أم لا"[2]. وباتساع أكثر قليلاً ينظر إليه علماء اللغة العربية حيث يعدون "الأصل فيه أن يكون لمعين، وقد يترك إلى غير معين ليعم كل مخاطب على سبيل البدل لا بمعنى أنه يتناول جميع المخاطبين دفعة واحدة ولكن على البدلية والتناوب"[3].

وفي معجم المصطلحات العربية الخطاب هو: "ذلك النص المكتوب الذي ينتقل من مرسل إليه يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهما"[4]. وفي هذا المعنى شيء من التضييق والحصر، إذ يعتبر الخطاب بين شخصين يتضمن أنباءً خاصة بهذين الشخصين، في حين لم يشر إلى هذا أي من التعاريف السابقة، كما أنه اقتصر الخطاب فيه على المكتوب فقط، ويعرف بكار الخطاب بأنه: كل ما يحمل رسالة للمتلقي وما يشكل أداة اتصال وتفاهم"[5].

وهذا تعريف يتسم بالشمولية وقد يندرج تحت هذا المعنى الكثير من وسائل الاتصال المتنوعة. كما أنه يشمل المكتوب والمقروء والمنطوق والحديث والإشارة وأي شيء شكل أداة تفاهم واتصال. "والخطاب كلمة تستخدم للدلالة على كل كلام متصل اتصالاً يمكنه من أن ينقل رسالة

---

(1) علي محمد الآمدي. **الأحكام في أصل الأحكام**، ج1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1980م. ص 136.

(2) محمد بهادر الزركشي. **البحر المحيط**. ج1. الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1413هـ. ص 126.

(3) فضل حسن عباس. **البلاغة فنونها وأمتانها وعلم المعاني**. ط2، عمان: دار الفرقان، د.ت ص 298.

(4) مجدي وهبة وكامل المهندس. **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**. بيروت: مكتبة لبنان 1979م. ص90.

(5) عبد الكريم بن محمد الحسن. **تجديد الخطاب الإسلامي الشكل والسمات**. ط.1، دار المسلم الرياض. 2005م. ص13.

كلامية من المتكلم أو الكاتب وليس كل خطاب نصاً وإن كان كل نص بالضرورة خطاباً؛ فالكلام المتصل خطاب"[1].

ولعل تعريف الخطاب الذي أورده الملكاوي في كتابه الخطاب الإسلامي الحضاري كان من أشمل التعريفات وأدقها حيث عرف الخطاب بأنه: "المضمون الفكري الذي تشير إليه لغة الفرد أو جماعة، وما يحمله هذا المضمون من رسالة إلى الآخرين، كما أن الخطاب هو وجهة نظر الكاتب، يقدمها على شكل بناء فكري يتكون من مفاهيم وعلاقات بين المفاهيم، يوظف فيها الكاتب قدرته على البناء، وفق قواعد معينة تجعله قادراً على نقل وجهة نظره إلى القارئ"[2].

أما الخطاب عند جابر عصفور فهو: "الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاماً متتابعاً تسهم به في نسق كلي متغير ومتحد الخواص، أو على نحو يمكن معه أن تتآلف الجمل في خطاب بعينه لتشكل خطاباً أوسع ينطوي على أكثر من نص مفرد، وقد يوصف الخطاب بأنه مجموعة دالة من أشكال الأداء اللفظي تنتجها مجموعة من العلاقات المتعينة التي تستخدم لتحقيق أغراض معينة"[3].

وهو يتجه في تعريفه إلى الخطاب بصورة لغوية متخصصة من حيث الجمل التي تكونه والعلاقات بينها على عكس محمد عابد الجابري الذي نقل الخطاب من دائرة الدراسات اللغوية إلى حيز الدراسات الاجتماعية.

فالخطاب عند الجابري، باعتباره مقولة الكاتب أو أقاويله هو بناء من الأفكار إذا تعلق الأمر بوجهة نظر يعبر عنها تعبيراً استدلالياً، وإلا فهو أحاسيس ومشاعر، وفن أو شعر يحمل

([1]) خلود العموش. **الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق**. ط1. الأردن: عالم الكتب الحديث، 1429هـ. ص 24.

([2]) فتحي ملكاوي. **الخطاب الإسلامي الحضاري**. مجلة الكلمة. العدد (12). 1417هـ. ص16.

([3]) إديث كيرزويل. **عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو**. ترجمة جابر عصفور. الدار البيضاء، 1986. ص 269 – 270.

وجهة نظر. أو هو وجهة نظر مصوّغة في بناء استدلالي أي استعمال مواد، ولابد من إقامة علاقات معينة بين تلك المواد حتى يصبح بناء يشد بعضه بعضاً، وسواء تعلق الأمر بالمواد أو بطريقة البناء فلابد من تقديم أو تأخير، ولابد من تضخيم أو بتر، فالخطاب من هذه الزاوية، إذا كان يعبر عن فكرة صاحبه فهو يعكس أيضاً مدى قدرته على البناء وبعبارة أخرى لما كان كل بناء يخضع لقواعد معينة تجعله قادراً على اداء وظيفته، فإن الخطاب يعكس كذلك مدى قدرة صاحبه على احترام تلك القواعد، أي على مدى استثماره لها لتقديم وجهة نظره إلى القارئ بالصورة التي تجعلها تؤدي مهمتها لدى هذا الأخير، مهمة الإخبار والإقناع[1].

مما سبق من تعاريف للخطاب، تلاحظ الدراسة التباين والاختلاف فيها، فبعضهم عده نص مكتوب وبعضهم يعدونه ما يتكلم به، إلا أن هناك أمور أتفق عليها في الخطاب وهي:

1- أن الخطاب يقصد به الإفهام، سواء أكان التلقي متهيئاً للفهم أو غير متهيئ.

2- أنه لابد أن يكون له مرسل ومتلق.

3- أنه يحمل رسالة من المرسل إلى المتلقي.

وحتماً فإن عدم الاتفاق على مفهوم محدد لمصطلح الخطاب يرجع إلى تعدد الموضوعات التي يطرحها.

المبحث الثاني

أنواع الخطاب القرآني

يتخذ الخطاب في القرآن الكريم بصفة خاصة عدة أنواع، حصرها البعض من أهل التفسير في خمسة عشر نوعاً، ورأى البعض من المفسرين الآخر أنها تأتي على نحو أربعين نوعاً. وقد

(1) محمد عابد الجابري، **الخطاب العربي المعاصر**. دراسة تحليلية نقدية. مركز دراسات الوحدة العربية. 1982م. ص11.

اكتفى الباحث بعرض الأنواع التي عليها إجماعٌ أكبر من قبل العلماء الذين اعتنوا بالبحث فيها وهي:

1- خطاب العام المراد به العموم. كقوله تعالى:يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} سورة الانفطار: الآية: 6، وقوله تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ) سورة الروم، الآية: 40. وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ) سورة البقرة، الآية: 21. فالخطاب في الآيات خطاب عام أريد به العامة.

2- خطاب الخاص المراد به الخصوص: نحو قوله تعالى: (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا) سورة الأحزاب، الآية: 37، فالخطاب في الآية موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لا يدخل فيه سواه. وقوله تعالى:يأَيُّهَا الرَّسُولُ بلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) سورة المائدة، الآية: 67.

3- خطاب خاص المراد به العموم: ومثال ذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ) سورة الطلاق، الآية:1 فالخطاب موجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم –ولكن المراد به العامة أيضاً بدليل قوله (طلقتم) بصيغة الجمع إذ لم يقل (إذا طلقت)، وكذلك في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ) سورة التوبة: الآية: 73. فالخطاب "للنبي وتدخل فيه أمته"[1].

4- خطاب العام المراد به الخصوص: كقوله تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ) سورة آل عمران، الآية: 173. فعموم كلمة الناس يقتضي دخول جميع

([1]) محمد أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. د.ط. دار أحياء التراث العربي، بيروت. 1985م. ج8. ص204.

الناس في اللفظيين، والمراد بعضهم، لأن القائلين غير المقول لهم، فالناس "الأولى هم ركب عبد القيس، والثانية مشركو قريش[1]".

5- خطاب الجنس: كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) المراد بالخطاب جنس الأنبياء فقط إلا إذا أضيف له تخصيص بعده.

6- خطاب النوع، كقوله تعالى: (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) سورة البقرة: الاية40، وقوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ) سورة آل عمران: الآية 65. [2]

7- خطاب العين: نحو قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) سورة البقرة: الآية 35، وقوله تعالى: (قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا) سورة هود، الآية: 48، وقوله: (يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ) سورة القصص: الآية: 31، وكذلك قوله: (يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ) سورة آل عمران، الآية: 55، فالخطاب موجه في كل مثال من الأمثلة السابقة إلى شخص بعينه، ولم يقع في القرآن الكريم خطاب بـ: يا محمد، تعظيماً له وتشريفاً وتخصيصاً.

8- خطاب المدح: نحو (يا أيها الذين آمنوا) خاطبهم بها مدحاً لهم.

9- خطاب الذم: وهو في موضعين اثنين فقط في القرآن الكريم الأول: في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ) سورة التحريم، الآية: 7، الثاني: في قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، سورة الكافرون: الآية: 1 خاطبهم بذلك ذماً لهم.

10- خطاب الكرامة: كقوله تعالى: (يا أيها النبي) و (يا أيها الرسول) ويكون الخطاب بـ: يا أيها النبي في الموضع الذي لا يليق إلا بمقام النبوة، وبـ: يا أيها الرسول في الموضع الذي لا يليق إلا بمقام الرسالة. وقد يعبر بـ: يا أيها النبي في مقام التشريع العام كما في خطاب

(1) محمد أحمد جزي الكلبي. **تفسير ابن الجزي**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1983م. ص101.

(2) المصدر نفسه، ص87.

الخاص المراد به العموم لكن مع قرينة إرادة العموم فقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء) سورة الطلاق، الآية: 1 قرنت بطلقتهم وليس طلقت إرادة لدخول العموم فيه.

11- خطاب الاهانة: مثال قول الحق تبارك وتعالى: وقوله (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) سورة الحجر، الآية:34.

12- خطاب التهكم:ومن ذلك ما قاله قوم شعيب – عليه السلام – له في قوله تعالى: (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) سورة هود، الآية: 87، أي "قالوا ذلك على سبيل التهكم"[1]. ومنه أيضاً قوله تعالى: (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) سورة الدخان: الآية: 49، ومنه قوله تعالى: (لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ) سورة الواقعة: الآية 44. وذلك لأنّ "الظل من شأنه الاسترواح واللطافة، فنفى هنا، وذلك لأنهم لا يستأهلون الظل الكريم"[2].

13-خطاب الجمع بلفظ الواحد منه قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ) سورة الانشقاق، الآية 6، وقوله تعالى(إن الإنسان لفي خسر) سورة العصر ،الآية 2.

14- خطاب الواحد بلفظ الجمع: في قوله تعالى: (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ) سورة النحل، الآية: 126. خاطب به النبي بدليل قوله تعالى: (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ)[3] كذلك قوله تعالى: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) سورة الشعراء: الآية: 105. إنما قال المرسلين "لأن من كذب رسولاً فقد كذب الرسل"[4].

([1]) إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**. ط1، ج3. بيروت: دار الأندلس، 1966م، ص 571.

([2]) الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**.ط.1. دار الكتب العلمية. بيروت. 2001م. ص 233.

([3]) المصدر نفسه. ص 235.

([4]) محمد علي الصابوني. **صفوة التفاسير**. ط4. ج2. بيروت: دار القرآن الكريم، د.ت.ص 387.

15- خطاب الواحد بلفظ الاثنين: كقوله تعالى: (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيد) سورة ق، الآية: 24. والمراد بالأمر "مالك خازن النار"[1]. وقوله تعالى: (قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا) سورة يونس، الآية: 89.

والخطاب لموسى- عليه السلام -وحده لأنه الداعي في الآية السابقة لها، وقيل المراد "موسى وهارون لأن هارون أمن على دعاء موسى والمؤمن أحد الداعين"[2].

16- خطاب الاثنين بلفظ واحد: من ذلك قوله تعالى: (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى) سورة طه، الآية: 49. قال القرطبي "خصه بالذكر لأنه صاحب الرسالة والكلام"[3] ومن ذلك قوله تعالى: (فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) سورة طه، الآية: 117. الخطاب مع كونه لآدم وحواء إلا أنه قال فتشقى ولم يقل فتشقيا وربما "أفرده بالشقاء إشارة إلى أن التعب والكسب في معيشة الدنيا يقع في حيز الرجال"[4].

17- خطاب الاثنين بلفظ الجمع: قوله تعالى: (أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) سورة يونس، الآية: 87 بدا الخطاب بتوجيهه لموسى عليه السلام – وهارون بقوله تبوءا ثم استخدم الجمع في الخطاب فقال واجعلوا ولم يقل واجعلا.

18- خطاب الجمع بلفظ الاثنين: في قوله تعالى: (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ) سورة ق، الآية: 24 قيل الخطاب "لخزنة النار والزبانية"[5].

---

(1) الزركشي. **البرهان في علوم القرآن**. ج2. ص 239.

(2) جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي. **الإتقان في علوم القرآن**. ط1.مؤسسة النداء . أبو ظبي. 2003م. ج2، ص 94.

(3) محمد أحمد الأنصاري القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. ج8، ص 204.

(4) السيوطي. **الإتقان في علوم القرآن**. ج2، ص 94.

(5) المصدر نفسة، ج2، ص 94.

19- خطاب الجمع بعد الواحد: كقوله تعالى: (وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ) سورة يونس، الآية: 61.

20- خطاب الواحد بعد الجمع: نحو قوله تعالى: (وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) سورة يونس، الآية: 87، وقوله تعالى: (وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ) سورة يونس، الآية: 61.

21- خطاب الاثنين بعد الواحد: نحو قوله تعالى: (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاء فِي الأَرْضِ) سورة يونس، الآية: 78.

22- خطاب الواحد بعد الاثنين: مثل قول الحق تعالى: (قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى) سورة طه، الآية: 49. ففي الآية خاطب فرعون موسى – عليه السلام – وهارون وقد وجه الخطاب لموسى وحده لأن المجاوبة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لا من الجميع.

23- خطاب العين والمراد ب غيره: كقوله (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ) سورة يونس، الآية: 94. فالمراد بالخطاب "التعويض بالكفار إذ حاشاه – صلى الله عليه وسلم – من الشك"[1] وقوله تعالى: سورة الأحزاب، الآية: 1 فالخطاب للنبي والمراد به "المؤمنون لأنه – صلى الله عليه وسلم – كان تقياً وحاشاه من طاعة الكافرين والمنافقين"[2].

24- خطاب الغير والمراد به العين: (لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) سورة الأنبياء، الآية: 10.

25- خطاب العام الذي يقصد به مخاطب معين: كقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ) سورة الأنعام، الآية: 27، وقوله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ) سورة السجدة، الآية: 12، وقوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ) سورة الحج، الآية: 18.

---

(1) السيوطي. **الإتقان في علوم القرآن**. ج2. ص 95.

(2) الزركشي. **البرهان في علوم القرآن**. ج2. ص 243.

26- خطاب الشخص ثم العدول إلى غيره: كقوله تعالى: (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) سورة هود، الآية 14. فقوله فإن لم يستجيبوا لكم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال للكفار فاعلموا إنما أنزل بعلم الله بدليل قوله فهل أنتم مسلمون[1].

27- خطاب التكوين وهو الالتفات: وهو الخطاب الذي لا يطلب به سبحانه فعلا من المخاطب، بل هو يكون المخاطب به وبخلقه دون فعل من المخاطب أو قدرة أو إرادة. قال تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) سورة النحل، الآية: 40.

28- خطاب الجمادات خطاب من يعقل: كقوله (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً) سورة فصلت، الآية: 11[2].

29- خطاب التهيج: نحو قوله تعالى: (الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) سورة البقرة، الآية: 147، وقوله تعالى: (وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) سورة المائدة، الآية: 23، ومنه كذلك قول الحق تبارك وتعالى: (اللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ) سورة التوبة، الآية: 13، وقوله (إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) سورة الأنفال، الآية: 41. [3].

30- خطاب التحنن والاستعطاف: في قوله تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ) سورة الزمر، الآية: 53.

31- خطاب التحبب: كقوله تعالى: (يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ) سورة مرين، الآية: 42، وقوله: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ) سورة لقمان، الآية: 16، وقوله تعالى: (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي) سورة طه، الآية: 94.

---

(1) السيوطي. **الإتقان في علوم القرآن**. ج2. ص 95.

(2) المصدر نفسه ص 105.

(3) الزركشي. **البرهان في علوم القرآن**. ج2. ص 256.

32- خطاب التعجيز: في قوله تعالى: (فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ) سورة البقرة، الآية: 23، وقوله عز وجل من قائل: من قائل (فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ) سورة هود، الآية 13.

33- خطاب التشجيع: كقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ) سورة الصف، الآية: 4، وقوله تعالى: (بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِين) سورة آل عمران، الآية: 125.

34- خطاب التنفير: ومثاله الحق سبحانه: (لاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ) سورة الحجرات، الآية: 12.

35- خطاب التشريف: وهو "كل ما في القرآن مخاطبة بـ (**قل**) فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف" [1].

المبحث الثالث

خصائص الخطاب القرآني

تميز الخطاب في القرآن الكريم بخصائص فريدة ساهمت في تحقيق أهدافه، ورسمت له طريقاً سلكاً إلى القلوب، مؤثراً في النفوس، مميزاً في الأسلوب، المتأمل في الخطاب القرآني يجد فيه من الخصائص والمميزات ما يدفع ذوي البصائر والعقول للاستجابة له، من أبرز هذه الخصائص وأهمها أنه: خطاب يدعو إلى الحرية أو الربانية: لعل أعظم خاصية من خصائص الخطاب التربوي في القرآن الكريم هي خاصية التحرير، ولذلك شغل التحرير الجزء الأكبر من تاريخ الدعوة، فالعهد المكي كله يعالج قضايا تحرير الإنسان فهو يحرر الإنسان من أهواء نفسه ونزعاتها ونزواتها، ويحرره من طغيان الإنسان وجبروته واستبداده. وبتحقيق هذا التحرير ينتج أمران

([1]) السيوطي. **الإتقان في علوم القرآن**. ج2. ص 124.

متلازمان أولهما: الانجذاب نحو هذا الدين، وثانيهما: التحول الجذري في الحياة الإنسانية بما ينسجم وخاصية التحرير هذه.

ومن أمثلة الآيات القرآنية التي تدعو إلى التحرير قوله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ} سورة آل عمران، الآية:79.

يهدف الخطاب الموجه للمسلمين إلى جملة من الأهداف منها:

1. الدعوة على ما يقوي إيمانهم والاستعانة على ذلك بالطاعات كالصبر والصلاة: يقول تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٠٩ – 110)، ويقول عز من قائل﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾ (البقرة: ٢٧٧) فالمؤمن متى قرأ هذه الآيات واستشعر الفضل الذي يناله بالصبر والتحمل في سبيل الدين تقوى إيمانه، وزادت عزيمته، وارتفعت قدرته على أداء المزيد من العبادات طمعاً في زيادة الأجر وارتفاع الدرجات، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (الأنفال: 29).والشواهد والآيات كثيرة، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (البقرة: ١٥٣) يقول الطبري في تفسير هذه الآية أنها

"حض من الله تعالى ذكره على طاعته واحتمال مكروهها على الأبدان والأموال.... فإن الله ناصره وظهيرة وراضٍ بفعله"[1].

2. التذكير بفضل الله ومعونته ونصرته لأهله: من أهداف الخطاب القرآني تذكير الله تعالى لعباده المؤمنين بفضله عليهم، وتعداد نعمه عليهم، تعزيزاً لهم وتثبيتاً، يقول تعالى: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً **{83}** (سورة النساء: الآية83)، يقول عز من قائل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ **{21}** (سورة النور: الآية 21).

ومن التعزيز في الخطاب القرآني وعد الله تعالى عباده بالنصر والإعانة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾ (محمد: ٧)، وقال عز من قائل: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الحج: 40) فالله تعالى ناصر دينه وأوليائه، قال قتادة "لأنه حق على الله أن يعطي من سأله

[1] محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل أي القرآن (تفسير الطبري)**، ط1، ج2، الأردن، دار ابن حزم، 1423، ص 38.

وينصر من نصره"[1]. والتذكير بالفضل، والوعد بالنصر، يقوي الإنسان ويشحذ همه ويطمئن قلبه، فيقبل واثقاً في نفسه، متكلاً على بره، معتزاً بدينه.

3. تقرير كرامة الإنسان وحقوقه: سبق القرآن الكريم في تقريره كرامة الإنسان وحقوقه جميع الأنظمة والتشريعات الوضعية، فقد جاء القرآن الكريم مقرراً كرامة الإنسان، مشرعاً حقوقه، وقد قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ لإسراء: ٧٠.

وإن بعض آيات القرآن الكريم تتحدث عن جوانب ضعف في الشخصية الإنسانية، إلا أن تلك الآيات تأتي في سبيل توجيه الإنسان إلى تجاوز تلك السلبيات والسمو عليها،فهي حالات يصل إليها الإنسان عند غفلته لكنها لا تسلبه الأهلية الذاتية للامتياز. وإذا ما استقصينا النماذج البشرية التي قدمها القرآن الكريم لوجدنا أن العدد الكبر منها هو من الشخصيات العظيمة الصالحة، بينما ينخفض عدد النماذج المنحرفة الفاسدة، ولعل ذلك يوحي لنا بتفضيل القرآن لتقديم الإنسان في صورته المشرقة.

لم يتحدث القرآن الكريم حديثاً تفصيلياً عن خلق كائن من الكائنات كالسماء والأرض والملائكة كما هو الحال في الحديث عن خلق الإنسان، فقد خلق الله تعالى كل الكائنات بقدرته إلا انه أحاط خلق الإنسان بالرعاية والتكريم فقد قال تعالى: ﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ (سورة ص: الآية 72) وقد أعلن الله تعالى عن إرادته لخلق الإنسان كما يعلن الأمر العظيم: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ ص: ٧١.

---

[1]الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**. ط.1. دار أحياء التراث العربي، بيروت. 2000م. ج26، ص 44.

ويمتن الله تعالى على بني آدم البشر بالخلق والتصوير وسجود الملائكة لآدم فيقول سبحانه: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ} {11} (سورة الأعراف: من الآية 11).

وقد بدا الوحي الإلهي بالحديث عن الخلق، وخص الإنسان بالذكر من بين جميع المخلوقات قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ {1} خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ {2} (سورة العلق: الآيتان 1-2)، وعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قوله "ما شيء أكرم على الله من ابن آدم قيل يا رسول الله ولا الملائكة قال: الملائكة مجبورون بمنزلة الشمس والقمر"[(1)]. ثم توالت الآيات القرآنية التي تقرر حقوق الإنسان وهي أكثر من أن تحصى، فقد قال الله عز وجل مقرراً الوحدة البشرية { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} (سورة الحجرات: من الآية 13)، ويقول الحق تعالى في حقوق الإنسان { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ} (سورة الحجرات: من الآية 11)، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ {12} (سورة الحجرات: من الآية 12).

4. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات، وأكبر المهمات، وهو أسلوب الحكيم للحفاظ على الدين والعقيدة، وهو جزء من العبادة، يقول ابن تيمية عنه: "ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

---

(1) علاء الدين علي المتقي الهندي. **كنز العمال**. ط.1، دار التراث العربي، بيروت، 1988،ج12. ص 87. خلاصة درجة الحديث: تفرد به عبد الله بن تمام قال البخاري عنده عجائب.

بحسب الإمكان، والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق، فيجتهدون في إقامة دينه، مستعينين به، رافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات، دافعين بذلك ما قد يخاف من آثار ذلك"[1]. وقد دلت النصوص على الأمر به، وجعله من الصفات اللازمة للمؤمنين، يقول تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }**{104}** (سورة آل عمران: الآية 104)، ويقول عز من قائل: **{**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**}** (سورة آل عمران: من الآية 110)، فالخيرية لا تتحقق لهذه الأمة غلا بإيمانها بالله تعالى وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر. ويقول تعالى **{**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {71} (سورة التوبة: الآية 71)، قال ابن تيمية "بين الله سبحانه وتعالى أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم لهم وأعظمهم إحساناً عليهم، لأنهم يمنحون كل خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر "[2].

وجعل الله سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مستلزمات التمكين فقال تعالى: {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ {41} (سورة الحج: الآية 41).

---

(1) أحمد عبد الحليم ابن تيمية. **مجموع الفتاوى**. تحقيق عبد الرحمن محمد العاصمي النجدي. ط2، ج10. مكتبة ابن تيمية، د. ت. ص 163.

(2) ابن تيمية. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**. تحقيق محمد جميل غازي. ج1. جدة: مكتبة المدني، د.ت. ص 23.

وقد حذر النبي –صلى الله عليه وسلم– من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال "والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم لتدعونه فلا يستجاب لكم"[(1)].

أكد الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من الإيمان، وأمر به المسلمين فقال "من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[(2)].

5- تهذيب الاخلاق ونشر الفضائل: فالقرآن الكريم هو منبع الأخلاق والمكارم، ومصدر المحاسن والفضائل، وقد وصف تعالى نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– وأثنى عليه بأخلاقه فقال: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} {4} (سورة القلم: الآية 4). وعندما سئلت السيدة عائشة –رضي الله عنها– عن خلقه –صلى الله عليه وسلم– قالت: "كان خلقه القرآن"[(3)]. وقد قال –صلى الله عليه وسلم– "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[(4)]. وكان –صلى الله عليه وسلم– يقول: "إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً"[(5)]. إن القرآن الكريم يقوم على نشر الفضيلة، والعفاف، والطهارة كـ (طهارة القلب، والبدن، وللسان)، وهو كذلك

---

(1) محمد عيسى الترمذي. **سنن الترمذي**. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون. ج4. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت. ص 468. باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. حديث رقم 2169. خلاصة درجة الحديث: رجاله رجال الصحيح.

(2) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ج1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت. ص 69. باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان. حديث رقم 49. خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

(3) أحمد بن خليل الشيباني. **مسند احمد بن حنبل**. ج6. مصر: مؤسسة قرطبة، د. ت. ص 91. حديث رقم 24645. خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

(4) محمد علي الحسن الترمذي. **نوادر الأصول في أحاديث الرسول**. ج2. مرجع سابق. ص 312. خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

(5) محمد إسماعيل البخاري. **صحيح البخاري**. ج3. مرجع سابق. ص 1305. باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. حديث رقم 3366. خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

يحارب الفساد والرذيلة ويعمل على سد كل الأبواب المؤدية لها. والآيات الموجهة للفضائل والأخلاق في القرآن الكريم كثيرة، ففي الدعوة على الأمانة يقول تعالى {أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ {8} وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ {9} (سورة الرحمن: الآيتان 8-9). والصبر من مكارم الخلاق يقول تعالى عن أيوب –عليه السلام–: { إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ {44} (سورة ص: من الآية 44)، وهو سبيل للجنة يقول تعالى: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ {35} (سورة فصلت: الآية 35). والصدق من الخلاق التي يدعو لها القرآن الكريم يقول تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ {119} (سورة التوبة: الآية 119)، والوفاء بالعهد من الخلاق الإسلامية بقول تعالى: {بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ {76} (سورة آل عمران: الآية 76). والتعاون خلق مطلوب يقول سبحانه: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} (سورة المائدة: من الآية 2). فالقرآن الكريم موجه على مكارم الأخلاق بشتى أنواعها وصورها، محذر عن الرذائل والمفاسد بكل أشكالها.

6- تكوين الأسرة الصالحة والمجتمع المسلم وإنصاف المرأة: إن من أهم الجوانب التي أولتها الشريعة الإسلامية اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة الجانب المتعلق بالأسرة، وما ذاك إلا أنها نواة المجتمع، والقاعدة الصلبة والأرض الخصبة لتنشئة وتربية الأجيال. والزواج هو بداية تكوين الأسرة، وهو إحدى نعم الله على المجتمع الإسلامي، وواحدة من آياته في الخلق، يقول تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {21} (سورة الروم: الآية 21)، ويقول سبحانه: {وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ {72} (سورة النحل: الآية 72). وقد

فصل القرآن الكريم القضايا التي تعنى بذلك التكوين للأسرة والمجتمع وأحكام المهر وحقوق وواجبات الزوجين، مروراً بالإنجاب والرضاعة والفطام، وانتهاء بالطلاق وأحكامه، ومسائلة، وعدة المطلقة، وحقوقها، وقضايا النفقة، وجميع المسائل والأحكام المشرعة له والفاصلة فيه، فنظام الأسرة والمجتمع نظام بالغ الأهمية في القرآن، عظيم الدقة و الإحكام.

والقرآن الكريم عند نزوله نزل في مجتمع جاهلي يقصي النساء ويؤد البنات، فكان من أهدافه إنصاف المرأة، فقد كرم الإسلام المرأة أماً وزوجة وابنةَ، وأكد إنسانيتها، وأهليتها للتكليف والمسئولية، وساواها بالرجل في العمل والجزاء عليه، فقل تعالى: **{**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {97} **(سورةالنحل: الآية 97)، وقال تعالى: {**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا {124} (سورة النساء: الآية 124).

وقرر القرآن الكريم حقوق المرأة، قال تعالى: **{**لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا**}** (سورة النساء: من الآية 19)، ويقول تعالى: {وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} (سورة النور: من الآية 33)، ويقول تعالى: {وَإِذَا الموءودة سُئِلَتْ {8} بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ {9} (سورة التكوير: الآيتان 8-9).

وإن شريعةً من الشرائع لم تنصف المرأة وتكرمها كما فعل الإسلام، ذلك أنها جزء لا يتجزأ من كيانه، لها أبلغ الأثر في تربية باقي الكيان.

7- بيان الأحكام الشرعية العملية: نزل القرآن الكريم واضعاً أساس العقيدة الإسلامية، فارضاً قواعد الدين، ومبيناً الأحكام الشرعية. وقد فصل القرآن العديد من الأحكام العملية تفصيلاً دقيقاً، فكان من بين الأحكام العملية فيه أحكام الوضوء قال تعالى **{**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى

الْكَعْبَينِ} (سورة المائدة: من الآية 6). وقد فرض فيه الصيام حيث قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {183} (سورة البقر: الآية 183)، وحدد أوقاته فقال: {وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ} (سورة البقرة: من الآية 187).

وفرض الحج وبين بعض أحكامه فقال عز من قائل: {وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فمَاَ استيْسَرَ من الهْدَيْ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّه} **(سورة الالبقرة: الآية 196)،** **وقال:** { فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ {198} ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {199} (سورة البقرة: من الآيتين 198–199).

ووضح القرآن الكريم كيفية الصلاة حال الحرب في قوله تعالى: {وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ} (سورة النساء: الآية 102)، وقسم القرآن الكريم الميراث فقال:يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ } (سورة النساء: الآية 11).

إن أهداف الخطاب في القرآن الكريم كثيرة ومتعددة بحيث لا يمكن حصرها أو إحاطتها جميعها بالعلم، فأهداف الخطاب في القرآن الكريم تنبع من أهداف القرآن الكريم تنبثق عنه، والقرآن الكريم كتاب يشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية وغير الإنسانية.

الفرق بين خطاب المرأة المؤمنة والمرأة الكافرة في القرآن الكريم:

يوجد في سور القرآن الكريم وآياته مواضع كثيرة ذكرت فيها المرأة، وبينت فيها أحكامها، وخوطبت أكرم خطاب وأعزها أعظم إعزاز [1].

وقد كانت المرأة وما زالت مكرمه بإيمانها في النص القرآني، لها ما للرجل، وعليها ما عليه، وحفظ لها القرآن الكريم كرامتها وشخصيتها وبينت ذلك أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبرزت ذلك كله الشريعة السمحاء.

ويذكر ذلك بعض الباحثين فيقول: " إن توجيه الخطاب للمرأة في النصوص القرآنية حظي بأسلوب إلهي خاص جدير بالدراسة إستنادا إلى ظواهر النصوص وبواطنها، ذلك أن آليات المعنى تشير خلافا إلى ما يزعمه مبغضو الإسلام إلى أن المرأة في الخطاب القرآني الموجه لها حضيت بالإكرام الذي ما بعد إكرام "[2].

فقد خاطب القرآن الكريم عن بعض النساء الصالحات أو غير الصالحات، وخصَّهن بالذِّكر، ومنهن كافرات طالِحات، ومن النساء الكافرات التي خاطبهن القرآن امرأة نوح وقد وردت الإشارة إليها أشارة عامة ولم يخصها بالخطاب [3].

نلاحظ مما تقدم الفرق بين خطاب المرأة المؤمنة والمرأة الكافرة في القرآن الكريم من خلال أمرين هما:

1- إذا كان الخطاب موجه للمرأة المؤمنة فإن القرآن يخصها بالذكر ويستطرد في خطابها.

2- أما إذا كانت كافرة فأنه يشير إليها إشارة عامة من دون تخصيص.

---

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي. مطابع الشعب . ط1 . 1378 هـ . مادة (نساء)، (امرأة)، (المؤمنات)، (فتياتكم) .

(2) د . سعاد الحكيم، **خطاب المرأة القرآني**، ط1، دار المعرفة، بيروت . 1988 م، ص88 – 89.

(3) المصدر نفسه، ص88 – 89.

المبحث الرابع

خصائص المرأة في ضوء الخطاب القرآني

للمرأة في الخطاب القرآني خصائص تختلف عن الرجل في القرآن الكريم تبعاً للاختلافات بينهم والتي جسدها القرآن الكريم على لسان امرأة عمران في قوله تعالى:(وليس الذكر كالأنثى) (سورة آل عمران من آية 36) وسأقوم بهذا المبحث ببيان بعض المواضع التي ذكرت في القرآن الكريم، وتبن خصائص المرأة عن الرجل، فكان من أبرز الخصائص التي ذكرت في القرآن الكريم ما يلي:

1- **السكن:** اختص الله تعالى المرأة بجعلها سكن للرجل، ورد ذلك صريحاً في القرآن الكريم حيث قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) سورة الأعراف، الآية: 189، يقول الشوكاني في تفسير قوله **(ليسكن إليها)** إنها "علة للجعل أي جعله منها لأجل يسكن إليها يأنس إليها ويطمئن بها"[(1)]، فالسكن في الآية سكن نفسي، وسكنت النفس أي "هدأت بعد الاضطراب واستأنست واستراحت"[(2)]، فالمرأة عليها أن تجعل من منزلها ومن نفسها مقراً للسكن والهدوء والراحة النفسية ليسكن الزوج إليها فيؤدي ذلك إلى استقرار الحياة والاطمئنان، فالسكن "أمر نفسي وسر وجداني يجد فيه المرء سعادة الشمل"[(3)].

ولتحقيق هذا السكن النفسي كان لزاماً أن تكون المرأة من جنس الرجل في الإنسانية والبشرية قال تعالى: (وَ مِنْ ءَايَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَجاً لِّتَسكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكم مَّوَدَّةً وَ

([1]) محمد علي محمد الشوكاني. **فتح القدير**. ط.2. دار الكتب العلمية . بيروت. ج2. ص 274.

([2]) إبراهيم مصطفى وآخرون. **المعجم الوسيط**، ج1، دار الدعوة، د.ت ص440.

([3]) هانم حامد ياركندي. **المعالم النفسية لشخصية المرأة في القرآن الكريم**. ط1، مكة المكرمة: وزارة الإعلام، 1412 هـ. ص 18.

رَحْمَـةً إنَّ فـى ذَلِك لأيَت لِّقَوْم يَتَفَكَّـرُون) سورة الروم، الآيـة: 21، ذلك أن "الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما إلى الآخر ولا يميل قلبه إليه"[1]. فالمرأة بعاطفتها ورقتها وأنوثتها مصدر الاستقرار والسكن النفسي والاجتماعي للرجل والأسرة، فالمرأة "سكن الرجل الذي يسكن إليه وينبوعه الذي يفيض له البر والرحمة ويهبه الطمأنينة"[2].

ومما يجدر الإشارة إليه أن المرأة بما خلقها الله عليه هي السكن الأوحد الذي يحقق الطمأنينة والسكينة، كيف لا وفيها ينمو الجنين ذكراً أو أنثى على حد سواء شهوراً معدودة قبل أن يخرج إلى الحياة؛ فلا تتحقق له طمأنينة إلا بين يديها وفي أحضانها. وهذا هو دور المرأة الأول تجاه زوجها وأسرتها ومنه توفير الراحة والاستقرار والاستئناس والطمأنينة، وهو دليل واضح على بلاغة القرآن الكريم في اختيار هذه الكلمة في هذا الموضع للدلالة على معان عديدة.

2- **الحمل الوضع:** من أهم خصائص المرأة الحمل والوضع، وهي أيضاً جزء من خاصية السكن التي اختصت بها. يقول تعالى: (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كلُّ أُنثى وَ مَا تَغِيض الأَرْحَامُ وَ مَا تَزْدَادُ وَ كلُّ شىْء عِندَهُ بِمِقْدَار) (سورة الرعد: الآية: 8)، فالحمل كما جاء في الآية من خصائص الأنثى، يقول تعالى: (خَلَقَكم مِّن نَّفْس وَحِدَة ثُمَّ جَعَلَ مِنهَا زَوْجَهَا وَ أَنزَلَ لَكم مِّنَ الأَنْعَمِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَج يخْلُقُكُمْ فى بُطونِ أُمَّهَتِكمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْق فى ظلُمَت ثَلَث ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْك لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنى تُصرَفُونَ) سورة الزمر، الآية: 6.

والوضع خاصية تابعة لخاصية الحمل، وهي أيضاً من خصائص المرأة، يقول تعالى: (وَ اللَّهُ خَلَقَكم مِّن تُرَاب ثُمَّ مِن نُّطفَة ثُمَّ جَعَلَكمْ أَزْوَجاً وَ مَا تحْمِلُ مِنْ أُنثى وَ لا تَضعُ إِلا بِعِلْمِهِ) سورة فاطر الآية: 11.

[1] الشوكاني. **فتح القدير**، ج4. ص219.

[2] هانم حامد ياركندي. **المعالم النفسية لشخصية المرأة في القرآن الكريم**. ط.1. دار الفكر. بيروت. ص18.

إن الأمومة فطرة من فطر الله النساء عليها، وهنّ بذلك قادرات على تحمل المشاق والتعب في سبيل ذلك، فالمرأة "بفطرتها وصبرها غير المحدود قادرة على تحمل مشاق الحمل والولادة والأمومة، ترعى أطفالها وتعتني بهم رضاعة وتربية، وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك المشاق والمتاعب يقول عز من قائل: (وَ وَصيْنَا الانسنَ بِوَلِدَيْهِ إحْسناً حَمَلَتْهُ أُمّهُ كُرْهاً وَ وَضعَتْهُ كُرْهاً وَ حَمْلُهُ وَ فِصلُهُ ثَلَثُونَ شهْراً حَتى إِذَا بَلَغَ أَشدّهُ وَ بَلَغَ أَرْبَعِينَ سنَةً قَالَ رَب أَوْزِعْنى أَنْ أَشكُرَ نِعْمَتَك الّتى أَنْعَمْت عَلىّ وَ عَلى وَلِدَى وَ أَنْ أَعْمَلَ صلِحاً تَرْضاهُ وَ أَصلِحْ لى فى ذُرِّيّتى إِنى تُبْت إِلَيْك وَ إِنى مِنَ الْمُسلِمِينَ) سورة الأحقاف، الآية: 15، وقال عز وجل: (وَ وَصيْنَا الانسنَ بِوَلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْن وَ فِصلُهُ فى عَامَينِ أَنِ اشكرْ لى وَ لِوَلِدَيْك إِلىَّ الْمَصِيرُ)(سورة لقمان، الآية: 14)، فالقرآن الكريم يرسم صورة الحمل والوضع وما فيها من مشقة وتعب. وللقيام بهذه المهمة الشاقة فقد زودت المرأة "بالرقة"والوضع خاصية تابعة لخاصية الحمل، وهي أيضاً من خصائص المرأة، يقول تعالى: { ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ}(سورة فاطر: من الآية 11).

إن الأمومة فطرة فطر الله النساء عليها، وهن بذلك قادرات على تحمل المشاق والتعب في سبيل ذلك، فالمرأة "بفطرتها وصبرها غير المحدود قادرة على تحمل مشاق الحمل والولادة والأمومة، ترعى أطفالها وتعتني بهم رضاعة وتربية"[1]. وقد أشار القرآن الكريم إلى تلك المشاق والمتعب يقول عز من قائل: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} (سورة الأحقاف: من الآية 15)، وقال عز وجل: **{**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ**}** (سورة لقمان: من الآية 14)، فالقرآن الكريم يرسم صورة الحمل والوضع وما فيها من مشقة وتعب.

---

(1) اللجنة الإسلامية للمرأة والطفل. **ميثاق الأسرة في الإسلام**. ط1. مصر، 1428هـ. ص 114.

وللقيام بهذه المهمة الشاقة فقد زودت المرأة "بالرقة والعطف وسرعة الاستجابة لمطالب الطفولة، هذه الاستجابة التي تكاد تكون غير إرادية، وما ذلك إلا لتسهيل هذه المهمة الشاقة والمعقدة، وهي تنشئة الأجيال وتربيتهم"[1].

ولما في الحمل من مشقة خاصة لا تتحملها إلا المرأة جعل لها رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أجراً خاصاً في قوله –صلى الله عليه وسلم–: "المرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها كالمرابط في سبيل الله وإن ماتت فيما بين ذلك فإن لها أجر شهيد"[2]. وفي قوله –صلى الله عليه وسلم–: "الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، الذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة"[3]. ومعنى تموت بجمع أي "تموت وفي بطنها ولد أو تموت من الولادة"[4].

3- **الضعف:** وهو من خصائص المرأة،فهي ضعيفة البنية إذا ما قورنت بالرجل، وهي ضعيفة الحجة [5]. وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: **{وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ}** (سورة القصص: من الآية 23) أنه موسى –عليه السلام– وجد من وراء الجماعة التي تسقي أغنامها عند ماء مدين امرأتين "تحبسان غنمهما عن الماء من ضعفها حتى يفرغ القوم"[6].

---

(1) سيد قطب. **في ظلال القرآن.** ط.9. دار الشروق . بيروت. 1980م.ج5. ص 58.

(2) علاء الدين على المتقي الهندي. **كنز العمال.** ج16. مرجع سابق. ص 171. خلاصة درجة الحديث: فيه قيس بن الربيع وثقة شعبة والثوري وضعفه غيرهما.

(3) محمد عبد الله الحاكم النيسابوري. **المستدرك على الصحيحين.** تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط1. ج1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ. ص 503. خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

(4) عبد الرؤوف المناوي.**فيض القدير.** ط1. ج5. مصر: المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ. ص 171.

(5) محمد بن جرير الطبري. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري).** ج25.. ص 56.

(6) الفيروز آبادي.**تنوير المقباس من تفسير ابن عباس.** ج1. لبنان: دار الكتب العلمية، د. ت. ص 325.

4- **الحياء:** أشار القرآن الكريم إلى حياء المرأة في قصة نبي الله موسى –عليه السلام– مع ابنتي شعيب حيث يقول تعالى: {فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} (سورة القصص: من الآية 25)، فالحياء خلق كريم وهو صفة من صفات الله تعالى رب العالمين، فقد وصف النبي –صلى الله عليه وسلم– ربه بذلك فقال: إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً"[1]. والحياء من سنن المرسلين لقوله –صلى الله عليه وسلم–: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح"[2]. ولأن الحياء من خصائص المرأة فقد وصف شدة حياء الرسول –صلى الله عليه وسلم– بتفوقه على حياة العذراء من النساء حيث حياؤها يفوق غيرها، وحياؤه –صلى الله عليه وسلم– يفوق ذلك كله، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري– رضي الله عنه– قوله: "كان رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أشد حياء من العذراء في خدرها"[3].

إن المرأة المسلمة العفيفة حيية بطبعها، فخلق الحياء المتأصل في طبيعتها يحجبها عن مخالفة الشريعة ويذودها عن الانحراف حياء من الله تعالى وتحرجاً أن تلبس إيمانها بظلم لأن الحياء شعبة من شعب الإيمان[4].

وحياء المرأة يحجبها عن مخالطة الرجال وعن التبجح بقول أو فعل، لكنه لا يسكتها على باطل، ولا يمنعها من حق، ولا يقف ضد طلبها علم أو سؤالها عن أمر دين؛ ولذا امتدحت السيدة

---

(1) سليمان السجستاني. **سنن أبي داود.** تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ج2. دار الفكر، د.ت. ص 78. حديث رقم 1488. خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

(2) الترمذي. **سنن الترمذي**. ج3. مرجع سابق. ص 391. كتاب النكاح. حديث رقم 1080. خلاصة درجة الحديث: حديث حسن غريب.

(3) مسلم بن الحجاج **صحيح مسلم**. ج4. مرجع. ص 1809. باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم. حديث رقم 2320. خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

(4) محمد على الهاشمي. **شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة.** ط7. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1426هـ. ص 317.

عائشة –رضي الله عنها– نساء الأنصار بقولها: "نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"(1). فالحياء خير كله لا يأتي إلا بخير.

5- **النسيان:** المرأة أسرع نسياناً من الرجل ولذلك فقد قرر القرآن الكريم أن شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل قال تعالى:**{وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}**(سورة البقرة: من الآية 282)، جاء في تفسير قوله: **{أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}** أي "تنسى"(2). ولذلك فقد جاء بعد ذلك تعليل ذلك قوله **{فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}** فالتذكير يكون حال النسيان، والضلالة عن الشهادة يكون بنسيان جزء منها وتذكر جزء. ونسيان المرأة غنما هو من طبيعتها وليس عيباً يعيبها لذلك لم ترد شهادة المرأة بسببه.

6- **الغيرة:** وهي غريزة فطرية توجد في النفس، ولكنها لدى النساء أمر شائع ومعروف، وهي حالة من الضعف تحتاج فيها المرأة إلى الاحتواء(3).

والغيرة تختلف وتتباين بحسب درجتها وأسبابها، فمنها ما هو محمود كالغيرة إذا انتهكت محارم الله عز وجل، وهناك غيرة مذمومة كغيرة الرجل الزائدة على أهله بدون ريبة حتى يصل به الأمر للتجسس عليهم واتهامهم، وهناك غيرة طبيعية كغيرة المرأة على زوجها الغيرة المعتدلة التي لا

---

(1) البخاري. **صحيح البخاري.** ج1. مرجع سابق. ص 60. باب الحياء في العلم. خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

(2) جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي. **تفسير الجلالين.** ط1. ج1. القاهرة: دار الحديث، د. ت. ص 63.

(3) للتعرف أكثر على شخصية المرأة و للاستزادة، أنظر:

رشاد موسى، **علم نفس المرأة**، الانجلو المصرية، القاهرة، 2003م، ص18–39. ناهد رمزي، **سيكولوجية المرأة**، الانجلو المصرية، القاهرة، 1999م، ص119. عبد الرحمن العسوي، **سيكولوجية النساء**، منشورات الحلبي، ط.1، بيروت، 2004م، ص275.

تنتج عنها آثار ضارة. ورسولنا الكريم -صلى الله عليه وسلم- أكد لنا وجود الغيرة في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إن الله يغار وإن المؤمن يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه"[1].

وقد جاء ذكر غيرة المرأة في القرآن الكريم ضمنياً في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {1} قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ {2} وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ { 3} إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ{4}**(سورة التحريم: من الآية 1-4) وردت في سبب نزول الآيات روايات متعددة تدل كلها على غيرة نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- ونساء النبي -صلى الله عليه وسلم- "على الرغم من تفضيلهن على نساء الأمة، لكنهن لسن بمعصومات من الخطأ، فلقد بدر منهن في حياته -صلى الله عليه وسلم- ما لا بد أن يبدر، في قلوب النساء من الغيرة على الزوج والتنافس على نيل الحظوة لديه"[2].

وعرفت السيدة عائشة -رضي الله عنها- بغيرتها، يدل على ذلك ما روي عن أنس -رضي الله عنه- قال: "أتت أم سلمه بطعام في صحفه لها إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه فجاءت عائشة مؤتزرة بكساء ومعها فهر ففلقت به الصحفة فجمع النبي -صلى الله عليه وسلم- بين فلقتي الصفحة ويقول كلوا غارت أمكم مرتين ثم اخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صحفه

---

(1) مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. ج4. مرجع سابق. ص 2114. باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش. حديث رقم 2761. خلاصة درجة الحديث: حديث صحيحي.

(2) نوره محمد فهد الرشيد. **شخصية المرأة في القصص القرآني دراسة أدبية تحليلية**. ط1. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 1427هـ، ص218.

عائشة فبعث بها إلى أم سلمه وأعطى صحفه أم سلمه لعائشة"[1]. ومما يظهر من الرواية ترفق الرسول –صلى الله عليه وسلم– بزوجاته ما استطاع مقدراً بواعث الغيرة لديهن، وهو بذلك يشرع علاجاً فاعلاً لغيرة المرأة التي هي من خصائصها ومن أصل فطرتها وطباعها. قال ابن تيمية: "وأما غيرة النساء بعضهن من بعض فتلك ليس مأموراً بها لكنها من أمور الطباع كالحزن على المصائب"[2]. فالغيرة غريزة بشرية وهي في النساء أشد منها في الرجال لا يصلح حالها بإعطائها مطلق العنان ولا بإغفالها.

الزينـة: وهي من الأمور المباحة في الدين الإسلامي، يقول تعالى: **{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}** (سورة العراف: الآية 32)، بل هي من الأمور الواجبة في العبادة، قال تعالى: **{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ {31}** (سورة الأعراف: الآية 31). والزينة من الأمور المفطور على حبها النساء، قال تعالى: **{أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ {18}** (سورة الزخرف: الآية 18) قال البيضاوي أي "من يتربى في الزينة يعني البنات"[3]. ولأن المرأة مفطورة على حب الزينة، فقد عني الإسلام بزينة المرأة عناية عظيمة، جاء ذلك مفصلاً في كتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم–، فوضعت لها القواعد والضوابط التي تجعل الزينة تلبي فطرة المرأة وتناسب أنوثتها من جهة، وتحفظها في مسارها الصحيح بلا إفراط ولا تفريط من جهة أخرى، قال تعالى: **{وَقُل**

---

(1) أحمد شعيب النسائي، **سنن النسائي الكبرى**. تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن. ط1، ج5، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ، ص 285. باب الغيرة. حديث رقم . خلاصة 8904 . خلاصة درجة الحديث: حديث صحيح.

(2) أحمد عبد الحليم ابن تيمية. **الاستقامة**. تحقيق محمد رشاد سالم. ط1. ج2. المدينة المنورة: جامعة الإمام محمد بن سعود، 1402هـ، ص 8.

(3) البيضاوي. **تفسير البيضاوي**. ج5. بيروت: دار الفكر، د.ت. ص 142.

للمؤْمِنَاتِ يغضُضْنَ مِنْ أبصارهنِّ ويحفظْنَ فروُجهنَّ ولاَ يبُديِنَ زينتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بخمرِهُنَّ علىَ جيوُبُهنِّ ولاَ يبُدْينَ زِينتَهَنُّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَو آبَائِهَنِّ أَو آباءَ بعوُلَتهِنَّ أَوْ أَبنْاَئِهنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُوَلَتهنُّ أَوِ إخوْانهِنَّ أَو بنِي إِخوانِهنَّ أَو بنيِ أَخواتَهِنَّ أَو نسِائهنَّ أَوْ ما ملكَتَ أيمانهُنُّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بأَرجلْهُنِّ ليعُلَمَ ما يخُفْينَ مِن زينتَهنِّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {31}

(سورة النور: الآية 31).

وقد اهتم الإسلام بزينة المرأة ولباسها وزيها أكثر من اهتمامه بزينة الرجل ولباسه؛ وذلك لأن الزينة أمر أساسي بالنسبة للمرأة، حيث أن الله تعالى فطرها على حب الظهور بالزينة والجمال؛ ولهذا أبيح لها في موضوع الزينة أكثر مما أبيح للرجل، فأبيح لها لبس الحرير، والتحلي بالذهب على ذكور أمتي واحل لإناثهم"[1]. فالزينة من الأمور المباحة بل الواجبة شرط ألا تؤدي إلى حرام إنما في حدود المشروع والمباح دون إفراط ولا تفريط.

[1] محمد عيسى الترمذي. **سنن الترمذي**. ج4. مرجع سابق. ص 217. كتاب اللباس. باب ما جاء في الحرير والذهب، حديث رقم 1720. خلاصة درجة الحديث: حديث حسن صحيح.

الفصل الثاني

المستوى الدلالي والبنائي في خطاب المرأة في القرآن الكريم.

أولا: المستوى الدلالي.

المبحث الأول: الألوهية.

المبحث الثاني: الرسالة.

المبحث الثالث: البعث.

ثانياً: المستوى البنائي.

المبحث الأول: الاستفهام.

المبحث الثاني: الشرط.

المبحث الثالث: التوكيد.

المبحث الرابع: القصر.

الفصل الثاني

المستوى الدلالي والبنائي في خطاب المرأة في القرآن الكريم

تمهيد:

- **أسلوبية الحوار القرآني الكريم للمرأة:**

قبل الحديث عن المستوى الدلالي والبنائي في خطاب المرأة في القرآن الكريم، يجب بيان معنى الأسلوبية في اللغة، وفي الاصطلاح، وبيان ذلك على النحو الآتي:

الأسلوبية: تعد اللغة المدخل الرئيس لفهم أبنية النص القرآني بما يشمله على العديد من المقومات التركيبية المتداخلة في سياق الصياغة القرآنية، ودورها في إنتاج الدلالة، والبحث في تشكيلاتها اللغوية، وظواهرها الأسلوبية؛ وذلك حال ربطها بالمواقف والاعتبارات المقامية التي تتوافق بجميع تداخلاتها ومستوى الحضور النصي لآيات القرآن.

وتعرف الأسلوبية بـ:" أنها ضرب من البلاغة المعاصرة، التي لا تنسخ البلاغة القديمة نسخا لكنها تفيد منها وتنتفع بها، وهي مدرسة نقدية دأبت منذ نشأتها الأولى لتقديم نفسها على أنها البديل الشرعي للبلاغة....الخ[1].

وحاولت الأسلوبية عبر تاريخها الطويل أن تكون منهجا نقديا يسعى إلى معاينة النصوص بالاعتماد على النسيج اللغوي الذي يتشكل منه النص، فركزت بشكل أساسي على الأثر الذي تتركه اللغة في المتلقي وسعت جاهدة إلى إزاحة كل الأشياء الخارجة عن النص، وتعاملت مع النص تعاملا داخليا لا يعنى بالسياقات الأخرى؛ لذا فهي تتعامل مع النص على أنه بنية لغوية مغلقة لا تنظر إلى الأشياء التي تقع خارجة بالإضافة إلى تعاملها معه على أنه لغة مستخدمة

([1]) عبد السلام المسدي،،**الأسلوب و الأسلوبية**، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1982م، ص179. موسى ربابعة،، **الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها**، اربد، دار الكندي، 2002م، ص109.

بطريقة مغايرة للمألوف أو المعتاد وهو ما اصطلح على تسميته بالانحراف أو الانزياح في الدراسات الأسلوبية"[1].

ومن شأن الدراسات الأسلوبية تعزيز الهدف الديني في الكشف عن الخطاب القرآني، واستقراء آلياته المعينة بالتمثيل العميق لفهم بناه التركيبية عبر مستويين من التداخل العميق بين البنى اللفظية في ظاهرها المعجمي، ومجاوزتها إلى مستويات أخرى تعنى بدراسة اللفظ في النص القرآني وخصوصيته في إطار سياق الداخلي، ووفقا لمقتضيات حضوره الدلالي مع مقاصد الخطاب العقائدية، والتشريعية [2].

يقول محمد عبد المطلب: " أن الدراسة الأسلوبية ليست عملية تفسير فحسب، كما أنها ليست منهجاً يأيدنا بما لا نتوقع، وإنما هي نظرة جمالية تتخلق من خلال الصياغة والقارئ الناقد عليه أن يحاول استخلاص المعنى من النص كما أنه يحاول شروط هذا المعنى، وكما أنه في النهاية يهتم بالناحية التفسيرية التي تتبع ما تقدم " [3].

ويجدر بالدارس التقديم بما سبق؛ لما تمثله الدراسات الأسلوبية من الخطورة في التعاطي مع الانزياحات الأسلوبية في القران الكريم.فالحدود التأويلية، لآفاق النص القرآني محكومة بخصوصية الخطاب الديني، التي تنتهي به إلى مقدار ما تحققه من تعزيز لبنيته.

وعلى الدارس، أو المفسر أن يضع نصب عينيه الحذر إزاء إكتفاء التشكيلات الأسلوبية واستقراء دلالاتها التي يجب أن تنتهي في حدودها القصوى إلى خدمة الغرض الدلالي في أصالته من التشريع غير منبت عنه، وبما يتوافق ومقصدية المشرع.

(1) موسى ربابعة،، **الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها**، ص109.

(2)المرجع نفسه. ص110.

(3) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص253 .

كما ينبغي على الباحث أيضا أن تصب جميع تصوراته واستقراءاته للبنى اللفظية بمستوييه الخارجي، والداخلي في ذات البؤرة من المضامين القيمية العقائدية والتشريعية منها، وأن تعزز منهجيته الأسلوبية تلك المضامين، وهو القصد الذي يتوخاه الباحث ابتداء من استقرائه آليات التعامل مع الخطاب الديني من منظور أسلوبي [1].

يعد الحوار خصيصة أسلوبية غاية في الأهمية في خطاب القرآن للمرأة بما اشتملت عليه من نوعي الحوار الداخلي والخارجي، والحوار من المحددات الأسلوبية التي توحي بعظم شان المرأة في القرآن وماهية الخطاب المتعلق بها، فالأسلوب هو قوام الكشف من نمط التفكير عند صاحبه، حيث تتطابق ماهية الأسلوب مع الرسالة اللسانية المبلغة شكلا ومضموناً[2].

وقد جاء في كتاب العين أن الحور يعني "الرجوع إلى الشئ وعنه وكل شئ تغير من حال إلى حال، فقد حار يحور حورا....والمحاورة: مراجعة الكلام " [3].

و رصد ابن منظور عدة معان يتمحور معظمها حول الرجوع و الدوران، فالحوار: الرجوع عن الشئ وإلى الشئ والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب [4].

في حين خلص الزبيدي إلى أنّ المحاورة تعني المجاوبة ومراجعة النطق، وحاوره،وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم [5].

ويزيد الزمخشري على تلك المعاني معنى القلق والاضطراب [1].

([1]) عبد السلام المسدي،، **الأسلوب والأسلوبية**، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 4، 1993م، ص63.

([2]) عبد السلام المسدي،، **الأسلوب والأسلوبية** . ص 64 . خالد موسى الدهون، **أدب الحوار العقدي في القرآن**، 2012م، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، ص14، وما بعدها.

([3]) الفراهيدي، الخليل بن أحمد،**كتاب العين**، مادة (حَوَرَ).

([4]) ابن منظور ، **لسان العرب**،،مادة (حَوَرَ). خالد الشوحه، الحوار مع الآخر في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، كلية الشريعة، 2007، ص23.

([5]) الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ترجمة عبد الستار أحمد فراج، الكويت،، د.ت، مادة **(حَوَرَ)**

والحوار في معناه الاصطلاحي:هو" الكلام الذي يتم بين شخصين أو أكثر، وبالتجوز يمكن أن يطلق على كلام شخص واحد ولا يشترط فيه – بالضرورة – تعدد الشخصيات. إلخ "[2].

وينقسم الحوار إلى نمطين اثنين [3]أولاهما: الحوار الداخلي أو ما يسمى بـ(المونولوج) وهو حوار الذات مع نفسها موضحة عما يدور داخلها من أفكار.

وثانيهما: الحوار الخارجي، وهو الحوار السردي القصصي، ومن ذلك في القرآن الكريم ما جاء في مناجاة امرأة عمران لربها في قوله تعالى:"إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يٰمَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّـهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"(سورة آل عمران الآيات:35-37).

يلحظ من الآيات السابقة أثر المونولوج الداخلي في كشف المحتوى النفسي لذات تلك المرأة، وما استدعته من صور أخرى متلاحقه تثير حالة من القلق، والخوف، والحزن على نحو دقيق في التعبير عن نفس تلك المؤمنة.

أما على الصعيد الآخر من نمطية الحوار المتمثلة بأسلوب السردي القصصي، فهو الحوار الخارجي وينقل هذا الحوار بوساطة شخصية أخرى تقوم بسرد القصة أو الحادثة، ويستخدم فيه

([1]) جاد الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، **أساس البلاغة**، ط.1، المكتبة العصرية، صيدا، 2003م، مادة (حَوَرَ).

([2]) حمادة إبراهيم، **معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية**، دار الشعب مصر، د.ت، ص 135. خالد موسى الدهون، أدب الحوار العقدي في القرآن 2012م، ص 14 . خالد الشوحة، الحوار مع الآخر في القرآن،ص23 .

([3]) إبراهيم العريض، **الأساليب الشعرية**، دار مجلة الأديب،د.م، 1995م، ص104.

بعض الصيغ كصيغ القول والأفعال، ويطلق عليه بعض الباحثين الحوار الصريح الذي تكرر فيه صيغ "قال"، "قلت"، "سأل"،"أجبت"،وما أشبه ذلك (1).

ويلعب الحوار دورا هاماً في تعميق بنية النص إذ تدفع بالمتلقي أن يكون فعالا مع محور الحدث وأكثر انفعالا به والمشاركة في اكتمال صورته.

ومن ذلك قوله تعالى:" وَأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلا تَخافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما كانُوا خاطِئِينَ (8) وَقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسى فارِغًا إِنْ كادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَنْ رَبَطْنا عَلى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَّمْنا عَلَيْهِ الْمَراضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ (12) فَرَدَدْناهُ إِلى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها وَلا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ (13)" (سورة القصص الآيات:7-13).

يبرز عنصر الحوار جليا في الآيات السابقة ويتجاوز الخطاب القرآني في المقام السابق أسلوب الحوار القائم على السردية القصصية إلى الدرامية التي يصل الشاعر بها إلى توترات درامية في مستوى الأحداث بما تقضيه بنية الحوار الخارجي من تباين في وجهات النظر بدءا من أمر الله عز وجل لأم موسى بإلقاء رضيعها في اليم، مع عدم التغيب للتجليات الألوهية المتمثلة بحفظ الله لسيدنا موسى حيث نجاه من قبضة فرعون وجنوده.

بعيداً عن السردية القصصية المملة، ما جاء في قوله تعالى:" وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ

---

(1) انظر: محمد مفتاح، **دينامية النص (تنظير وإنجاز)**، المركز الثقافي العربي، بيروت،1987م، ص 115.

أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ * قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِين" سورة يوسف (الآيات 30-32)

إذ يبرز في الآيات السابقة بروزا واضحا في معانيه الذات المتمثل بشخص امرأة العزيز إزاء الأخر المتمثل في حديث النسوة اللاتي قطعن أيديهن لشدة إعجابهن بجمال سيدنا يوسف عليه السلام وتجاورهما في وجهات النظر المتبناة وهذه أهم خصيصة أسلوبية يتمثل فيها الحوار على نحو يميل إلى الدرامية وإحداث توترات داخلية على صعيد الأحداث مما يضفي حركية وحيوية في بنية الخطاب القرآني لبروز نظر مستقلة عن بعضها بحيث تتحدث كل منها على حده وبما تمليه المواقف المعاشة بالفعل، كما أنّ في اختلاف تلك الذوات تكريس للبعد الموضوعي وتعميق لبؤرة الصراع.

المبحث الأول

المستوى الدلالي

ويتضمن الألوهية، الرسالة، البعث.

سيتم تقسيم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب، يتضح فيها المستوى الدلالي لخطاب المرأة في القرآن الكريم، وذلك على النحو الآتي:

اهتم علماء اللغة والبلاغة العرب في بحوثهم اللغوية والبلاغية بالمستوى الدلالي وأولوه عناية فائقة، ويمكن أن نستدل على ذلك من خلال التراث الضخم الذي حُقِّقَ بعضه وما يزال الكثير منه ينتظر التحقيق عدا ما ضاع منه.. واستمر ذلك حتى العصر الحديث. فقد أولاه علماء

الألسنيات الأجانب والأسلوبيون جلَّ اهتمامهم فأفردوا له حيزا كبيرا في دراساتهم اللغوية، وصار هناك مختصون في هذا النوع من الدراسات حتى في جامعاتهم(1).

إهتم المستوى الدلالي بالمعنى وظلاله وطرائق التعبير عنه بأشكال مختلفة والصلة بين اللفظ ودلالته،ودأب البلاغيون العرب والأسلوبيون المحدثون على الاهتمام بالمدلول اللغوي للمفردة في السياق الذي وردت فيه، كما اهتموا بمعنى الجملة من خلال الأداء الفني للمنشيء وامكاناته اللغوية وصولا إلى المعنى المراد التعبير عنه بحسب تنوع الأداء اللغوي.. لقد عُنِيَ علماء البلاغة العرب بالسبل التي تكفل إبراز الناحية الجمالية في التعبير لا مجرد إفهام المتلقي وإيصال المعنى له.. لذلك انصب اهتمامهم على المفهوم الدلالي وتنوع مستوياته للمفردة الواحدة ضمن السياق التعبيري الذي وردت فيه، ثم الانتقال بعدها إلى التكوين الدلالي للجملة وطرائق صياغتها.. كما أولوا عنايتهم لمعرفة الظواهر اللغوية ووظائفها، وأحوال اللفظ، ووضوح دلالته وبخاصة في القرنين الرابع والخامس الهجريين، ومثل هذا الاهتمام والعناية نجدهاعند الأسلوبيين في العصر الحديث أيضا(2).

ومثلما نشأت البلاغة من الدراستين اللغوية والنحوية ثم أخذت تستقل عنهما فان الأسلوبية مفهوم قديم نشأ من الألسنية، ويقصد به دراسة اللغة الأدبية، لذلك هو أكثر ارتباطا بالبلاغة منه بالفنون الأدبية الأخرى، لأنه ذو تأثير عميق بالمدرك الشعري وبالأفكار النقدية.. وقد أثبتت الدراسات الحديثة هذا الارتباط (بين الأسلوبية والبلاغة)، ولعلَّ ذلك هو الذي حفَّزَنا أن نتتبع هذا الارتباط في تراثنا اللغوي والنحوي والبلاغي والنقدي ، محاولةً منّا تأصيل جهود علمائنا في هذا

---

(1) انظرحسام البهنساوي: **علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة**. ط(1). القاهرة: زهرا الشرق. 2009. ص73-74. وعمر، أحمد مختار: **علم الدلالة**. ط(5). القاهرة: عالم الكتب. 1998. ص7

(2) انظر، حسام البهنساوي: **علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة**. ط(1). القاهرة: زهرا الشرق. 2009. ص73-74. وعمر، أحمد مختار: **علم الدلالة**. ط(5). القاهرة: عالم الكتب. 1998. ص7

الجانب اللغوي والبلاغي بالمستوى الدلالي المتعارف عليه حديثاً إن دراسة الألفاظ القرآنية بأسلوب حديث يثري النص القرآنيّ، ويلقـــي عليـــه روعة جمالية وفنية عظيمة، لا سيما تلك النظريات الحديثة التي تأخذ طابعاً خاصاً في الدراســـة الأسلوبية والدلالية مثـــل نظرية الحقول الدلالية أو المعجمية [1].

ونظرية الحقول الدلالية من النظريات الحديثة نســـبياً؛ إذ ظهـــرت فـــي العشـــرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين على أيدي علمـــاء سويسريين وألمان، تتمحور حول مجموعـــة الألفاظ التي ترتبط دلالاتها، ويمكن أن توضع تحت لفظ عام يجمعها، كألفـــــــاظ اللون مثلاً، نحو(أزرق)، و(أحمر)، و(أخضر)، و(أبيض)... إلخ.

وهدف هذا النوع من الدراسات يتمثل في جمع الكلمات التي يمكن أن تصـــنَّف ضـــمن حقل معين، والكشف عن صلات هذه الألفاظ بعضها ببعض، ثمّ صلتها بالمصـــــطلح العـــــام دون إغفال للسياق.

عرف القدماء هذا النوع من الدراسات، كرسائل: الخيل لأبي عبيدة، (ت 210 هـ)،وخلق الإنسان للأصمعي(ت 216 هـ)، وبعض المعاجم كفقه اللغة للثعالبي (ت 439 هـ)،

والمخصّص لابن سيده، (ت 448 هـ) وغيرهم كثير. والذي يزيد من حيوية هذا القرآن أنه معين لا تنقضي عجائبه، وحيّ يلمّ بكل النظريات الحديثة والقديمة على حد سواء، لو تسنى للمرء أن يتدبر أو يلاحظ أو يمعن النظر فيه لحاز على خير وفير، من هنا كان لهذا الفصل

([1]) انظر حسام البهنساوي: **علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة.** ط(1). القاهرة: زهرء الشرق. 2009. ص73-74.

أهمية خاصة؛ ذلك أنه يتناول نظرية حديثة وهي نظرية الحقول الدلالية في ضوء القرآن، ليكون للنظرية ذوق خاص يثري هذه الدراسة [1].

إن الألفاظ تتقارب في معانيها، أو قد تشترك اللفظة في أكثرمنمعنى، والذي يجعلنا نتجاوز هذا المشكل في دراسة الحقول الدلالية ما عمدنا إليه من تحديد للألفاظ، واقتصار على الألفاظ ذات المعنى الواضح والجليّ، ألفاظ متى أطرقنا لها السمع أخذتنا بجمال سبكها، وعمق أثرها، وعذوبة نطقها. إن انتقاء الألفاظ ودراستها ضمن نظرية الحقول الدلالية لا يعني أن تفقد الكلمة أو اللفظة حيويتها وجوهرها ووقعها على المتلقي، بل نجد كثيراً من الألفاظ، وكأنها تخلع على نفسها سمة الشخصية، جاءت حية متجددة شاخصة، وكأننا نقف أمام إنسان معروف الاسم والهوية[2].

المطلب الأول

الألوهية

تكشف العديد من الآيات القرآنية التي يمثل منها تخصيص الخطاب بالمرأة عن بنى دلالية مضمرة لا يسعف المستوى التفسيري لظاهر اللفظ باكتناه علائقه الدلالية الشائكة لعل من أبرزها تجليات الألوهية في خطاب المرأة، التي تشكل القاعدة الأساس في تكريس تجليات الذات الإلهية في القصص القرآني المعني بالتوجه للمرأة، مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: " إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا

([1]) انظراحسام البهنساوي: **علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة.** ط(1). القاهرة: زهراء الشرق. 2009. ص74-73. أحمد مختار: **علم الدلالة.** ط(5). القاهرة: عالم الكتب. 1998. ص7

([2]) انظر أحمد مختار: **علم الدلالة.** ط(5). القاهرة: عالم الكتب. 1998. ص7

وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ "سورة آل عمران 37/36/35).

إذ يشير ظاهر السياق المعجمي إلى قصة امرأة عمران التي نذرت ابنها محررا لخدمة بيت المقدس، ومخالفة القدر لما تنبأت به؛ إذ وضعتها أنثى[1].

إلا إن اشترطات قراءة النص من الوجهة الأسلوبية تجعل الباحث يقف على أبعادٍ أخرى أكثر إمعاناً بتجليات الخالق، والدلالة عليه.وهذا من قبيل ما يسمى بالدلالة الاستدعائية لأبنية التركيب في الصياغة القرآنية التي تشكل: " نواة ومنطلقا للدلالات الكلية التي ينتجها النمط الأسلوبي، وذلك أن اللغة تشكل نقطة البدء في الدلالة، أو بعبارة أخرى التي تعني الدال، لا بد من أن تنتج دلالة كلية، وذلك بارتباط ألفاظ ومفردات مختلفة في ربعة واحدة وعلاقات خاصة في السياق"[2].

وانطلاقا من تلك الرؤية الكلية يستوقف الباحث عند ثلاثة محاور رئيسية يرى فيها الأبعاد الدالة على صفة الإلوهية وتكريس سماتها،من خلال عدد من المؤشرات اللفظية وهي:

- توجه امرأة عمران بالدعاء إلى الله في قوله تعالى: " رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا".
- إنفاذ مشيئة (الله) في أن يكون المولود الذي وضعته أنثى. في قوله: " قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى ".
- كفالة (الله) لها برعايتها، وما وهبه لها من الرزق وإنباتها نباتا حسنا بقوله تعالى: " فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا "....".

---

(1) انظر: ابن كثير، **تفسير القران العظيم**، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1969م، ص359.

(2) فايز عارف القرعان، **دراسة أسلوبية في النص القرآني**، عالم الكتب الحديث، اربد، 2004م، ص25.

فضلا عن الأبعاد الأخرى التي يمكن أن يستشفها الباحث من تجليات الذات الإلهية في تمهيد القصص القرآني والإلمام بالظروف المحيطة بنشأة السيدة مريم أم رسول الله عيسى عليه السلام.إذ نلحظ من تداخل البنى الدلالية في تلك الآيات الغاية من سلامة الأسلوب، حيث تتماهى جميعها على المستويين الخارجي والداخلي للألفاظ على نحو تفاعلي الرؤية من روابط أبنيتها الداخلية عند معاينة النص وتجلياتها (مرهونا) باشتراطات دلالاتها الداخلية ومقياسا لسلامة النص الأسلوبية [1]

يلاحظ من بنية الدلالة التكرار اللفظي المطرد لـ: (رب) وأسلوب النداء المتعين بالقصد في التوجه إلى الله تعالى؛ فضلا عن القراءة البلاغية في القران الكريم الذي يعزوه الباحث إلى مزية الصورة الأدبية المركبة من تزاوج الألفاظ والدلالات وتلاحمها.

وهذا ما يختص به النظم القرآني من اعتماد للفظة أو عبارة" بطريقة نسقيه تتابعية"[2] ينسجم ودلالاتها البعيدة في كمون عنصر الإلوهية في الخالق.

ومن التجليات الإلهية بالغة الأثر خطاب المرأة في سورة النمل بقوله تعالى: " إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا

(1) انظر: احمد نصيف الجنابي، **البنية والأسلوب في التراكيب القرآنية وقضية الإعجاز**، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص46.

(2) انظر: احمد نصيف الجنابي، **البنية والأسلوب في التراكيب القرآنية وقضية الإعجاز**، ص46.

أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (آية 23–44 سورة النمل).

إِنِّي وَجَدْت اِمْرَأَة تَمْلِكهُمْ "قَالَ الْحَسَن الْبَصْرِيّ وَهِيَ بِلْقِيس بِنْت شَرَاحِيل مَلِكَة سَبَأ وَقَالَ قَتَادَة: كَانَتْ أُمّهَا جِنِّيَّة وَكَأَنَّ مُؤَخِّر قَدَمَيْهَا مِثْل حَافِر الدَّابَّة مِنْ بَيْت مَمْلَكَة وَقَالَ زُهَيْر بْن مُحَمَّد وَهِيَ بِلْقِيس بِنْت شَرَاحِيل بْن مَالِك بْن الرَّيَّان وَأُمّهَا فَارِعَة الْجِنِّيَّة وَقَالَ اِبْن جُرَيْج بِلْقِيس بِنْت ذِي شَرْخ وَأُمّهَا بَلْتَعَة وَقَالَ اِبْن أَبِى حَاتِم حَدَّثَنَا عَلِيّ بْن الْحَسَن حَدَّثَنَا مُسَدَّد حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن عُيَيْنَة عَنْ عَطَاء بْن السَّائِب عَنْ مُجَاهِد عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ: كَانَ مَعَ صَاحِبَة سُلَيْمَان مِائَة أَلْف قَيْل تَحْت كُلّ قَيْل مِائَة أَلْف مُقَاتِل وَقَالَ الْأَعْمَش عَنْ مُجَاهِد: كَانَ تَحْت يَدَيْ مَلِكَة سَبَأ اِثْنَا عَشَرَ أَلْفًا قَيْل تَحْت كُلّ قَيْل مِائَة أَلْف مُقَاتِل وَقَالَ عَبْد الرَّزَّاق أَنْبَأَنَا مَعْمَر عَنْ قَتَادَة فِي قَوْله تَعَالَى: " إِنِّي وَجَدْت

امْرَأَة تَمْلِكهُمْ " كَانَتْ مِنْ بَيْت مَمْلَكَة وَكَانَ أُولُو مَشُورَتهَا ثَلَثمِائَةِ وَاثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا كُلّ رَجُل مِنْهُمْ عَلَى عَشَرَة آلَاف رَجُل وَكَانَتْ بِأَرْضٍ يُقَال لَهَا مَأْرِب عَلَى ثَلَاثَة أَمْيَال مِنْ صَنْعَاء وَهَذَا الْقَوْل هُوَ أَقْرَب عَلَى أَنَّهُ كَثِير عَلَى مَمْلَكَة الْيَمَن وَاَللَّه أَعْلَم وَقَوْله " وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلّ شَيْء" أَيْ مِنْ مَتَاع الدُّنْيَا مِمَّا يَحْتَاج إِلَيْهِ الْمَلِك الْمُتَمَكِّن" وَلَهَا عَرْش عَظِيم " يَعْنِي سَرِير تَجْلِس عَلَيْهِ عَظِيم هَائِل مُزَخْرَف بِالذَّهَبِ وَأَنْوَاع الْجَوَاهِر وَاللَّآلِئ قَالَ زُهَيْر بْن مُحَمَّد كَانَ مِنْ ذَهَب وَصَفَحَاته مَرْمُولَة بِالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَد طُوله ثَمَانُونَ ذِرَاعًا وَعَرْضه أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وَقَالَ مُحَمَّدبْن إِسْحَاق كَانَ مِنْ ذَهَب مُفَصَّص بِالْيَاقُوتِ وَالزَّبَرْجَد وَاللُّؤْلُؤ وَكَانَ إِنَّمَا يَخْدُمهَا النِّسَاء وَلَهَا سِتُّمِائَةِ امْرَأَة تَلِي الْخِدْمَة قَالَ عُلَمَاء التَّارِيخ: وَكَانَ هَذَا السَّرِير فِي قَصْر عَظِيم مُشَيَّد رَفِيع الْبِنَاء مُحْكَم وَكَانَ فِيهِ ثَلَثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ طَاقَة مِنْ مَشْرِقه وَمِثْلهَا مِنْ مَغْرِبه قَدْ وُضِعَ بِنَاؤُهُ عَلَى أَنْ تَدْخُل الشَّمْس كُلّ يَوْم مِنْ طَاقَة وَتَغْرُب مِنْ مُقَابِلَتهَا فَيَسْجُدُونَ لَهَا صَبَاحًا وَمَسَا(1).

فضلا عن الأبعاد الأخرى التي يمكن أن يستشفها الباحث من تجليات الذات الإلهية في تمهيد القصص القرآني والإلمام بالظروف المحيطة بنشأة السيدة مريم أم رسول الله عيسى عليه السلام.إذ نلحظ من تداخل البنى الدلالية في تلك الآيات الغاية من سلامة الأسلوب، حيث تتماهى جميعها على المستويين الخارجي والداخلي للألفاظ على نحو تفاعلي الرؤية من روابط أبنيتها الداخلية عند معاينة النص وتجلياتها (مرهونا) باشتراطات دلالاتها الداخلية ومقياسا لسلامة النص الأسلوبية.

يلاحظ من بنية الدلالة التكرار اللفظي المطرد لـ: (رب) وأسلوب النداء المتعين بالقصد في التوجه إلى اللهتعالى؛ فضلا عن القراءة البلاغية في القران الكريم الذي يعزوه الباحث إلى مزية الصورة الأدبية المركبة من تزاوج الألفاظ والدلالات وتلاحمها.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 362/10 .

وهذا ما يختص به النظم القرآني من اعتماد للفظة أو عبارة" بطريقة نسقيه تتابعية"[1] ينسجم ودلالاتها البعيدة في كمون عنصر الإلوهية في الخالق.

ومن التجليات الإلهية بالغة الأثر خطاب المرأة في سورة النمل بقوله تعالى: " إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (24) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (25) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (26) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (27) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (28) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (29) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (31) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ (32) قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (33) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (34) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (35) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (36) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ (37) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (38) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مقَامِكَ وإِنِّي عليْه لقَوِيٌّ أَمِينٌ (39) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا

([1]) انظر: احمد نصيف الجنابي، **البنية والأسلوب في التراكيب القرآنية وقضية الإعجاز**، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2009م، ص46.

يَهْتَدُونَ (41) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (42) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (43)قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ " (آية 23-44 سورة النمل).

وقد كان خطاب القرآن للمرأة الكافرة بلقيس هو نموذج للحكم الديمقراطي كما يمكننا أن نسميه اليوم فتكلم عنها القرآن بالتنويه والرضا وكانت مثلا للتعقل وحسن التدبير فقولتها وهي قولة القرآن:" إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا **وَجَعَلُوا** أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّة" **(النمل:34) فقد عقب سبحانه وتعالى على كلامها** بقوله:" **وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ" (النمل:34)، كما قال ابن عباس فهو من** قول الله وصدقها الله ولم يكن **كفرها مانعا عن تصديقها في الحق الذي قالته.**

تحليل الآيات:

ومن خلال الآيات المتقدمة من سورة النمل يمكن أن نصل إلى مجوعة من التأملات الأسلوبية، وهي:

1. { وتفقد الطير } وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد { فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين } أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فقال: ما لي لا أراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له [1].
2. { لأعذبنه عذابا شديدا } كنتف ريشه وإلقائه في الشمس أو حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده في قفص { أو لأذبحنه } ليعتبر به أبناء جنسه { أو ليأتيني بسلطان مبين } بحجة

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 152/10.

تبين عذره والحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث المحذوف عليه بعطفه عليهما [1].

3. {أحطت بما لم تحط به} فيه تنبيه لسليمان عليه السلام على أن في أدنى خلق الله تعالى من أحاط علما بما لم يحط به، فيكون ذلك لطفا في ترك الإعجاب والإحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته [2].

4. { الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون } وصف له تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره و { الخبء } ما خفي في غيره وإخراجه إظهار وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته [3].

5. { قال سننظر } سنعرف من النظر بمعنى التأمل { أصدقت أم كنت من الكاذبين } أي أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل [4].

6. التأكيد في قوله تعالى: (إنه من سليمن وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) لوقوعه في جواب سؤال مقدر كأنه قيل: ممن هذا الكتاب وماذا مضمونه فقيل: (إنه من سليمان....) الآية [1].

---

[1] انظر: البيضاوي، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، 234/4.

[2] انظر: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ –2000 م، 355/20.

(3) انظر: البيضاوي:، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، 248/4 .

[4] انظر: الرازي، مفاتح الغيب، 386/10 .

7. { وأتوني مسلمين } مؤمنين أو منقادين وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع تعالى وصفاته صريحا أو التزاما، والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والأمر بالإسلام الجامع لأمهات الفضائل وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فإن الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة [2].

8. { قالت } أي بعد ما ألقى إليها { يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم } لكرم مضمونه أو مرسله أو لأنه كان مختوما أو لغرابة شأنه إذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الأبواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به [3].

9. { فلما جاء سليمان } أي الرسول أو ما أهدت إليه وقرئ (فلما جاؤوا) { قال أتمدونن بمال } خطاب للرسول ومن معه أو للرسول والمرسل على تغليب المخاطب { فما آتاني الله } من النبوة والملك الذي لا مزيد { خير مما آتاكم } فلا حاجة لي إلى هديتكم ولا وقع لها عندي { بل أنتم بهديتكم تفرحون } لأنكم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى إليكم حبا لزيادة أموالكم أو بما تعدونه افتخارا على أمثالكم والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليه وتقليله إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها [4].

10. { قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها } أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن ينكر

---

[1] انظر: الألوسي، روح المعاني، 154/10 .

[2] المرجع نفسه، 154/10 .

[3] انظر :عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 356/20 .

[4] انظر: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، 356/20.

عرشـها فينظـر أتعرفه أم تنكره ؟ { قبل أن يـأتوني مسلمين } فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذه إلا برضاها [1].

11. { فلما جاءت قيل أهكذا عرشك } تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها إذ ذكرت عنده بسخافة العقل { قالت كأنه هو } ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها { وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين } من تتمة كلامها كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها فقالت: وأوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة مما تقدم من الآيات وقيل إنه من كلام سليمان عليه السلام وقومه وعطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله [2].

12. {إنها كانت من قوم كافرين} تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد أي أنها كانت من قوم راسخين في الكفر فلذلك لم تكن قادرة على إظهار إسلامها وهي بين ظهرانيهم إلى أن حضرت بين يدي سليمان عليه السلام [3].

المطلب الثاني

الرسالة

تضمن خطاب المرأة في القران العديد من المقاصد التي لا يمكن تمثلها دون الإحاطة بخصائصه الأسلوبية إذ يكمن في تنوعاتها المختلفة، تحولات أساسية في بنية الخطاب على المستوى الدلالي للنص قوامها العلاقة المتينة بين اللفظ والمعنى، وما لها من وقع في حركة بناء

---

[1] انظر: البيضاوي:، أنوار التنزيل و أسرار التأويل، 249/4 .

[2] انظر: المصدر نفسه، 249/4 .

[3] انظر: الرازي، مفاتح الغيب، 388/10 .

الدلالـة اللغويـة، والانطباعـات التـصورية التـي ينبغـي معهـا النظـر إلـى اللغـة بوصـفها مجموعـة مـن الألفاظ، وإنما مجموعة من العلاقات.

ومـن تلـك الحركيـة يستطيع الباحـث أن يتحـول فـي الكشف عـن بنيـة الخطـاب الدلاليـة مـن التفصيلي الظـاهر إلـى المجمـل التـي تظهـر مـن خـلال علاقـة أبنيـة التركيـب والتحليل بالسياق العـام للصياغة القرآنيـة"[1] وهـو مـا يـدعوه المشتغلون فـي حقـل الأسـلوبية بــ (تفصيل المجمـل) الـذي يقـوم تفسير الخطـاب القرآنـي وفقـا لـذلك المنظـور "علـى خلـق معنـى المفارقـة فـي بنيـة التركيـب مـن جهـة، وفـي بنيـة التحليـل مـن جهـة أخرى، وتكسب هـذه الدلالـة صـفة الانتشار فـي السياق الكلـي للصياغة القرآنية"[2].

ومـن أمثلـة ذلـك مـا تضمنته النص القرآنـي فـي خطابـه للمرأة مـن توجيهـات إلهيـة تصب فـي إطار الرسالة والدعوة إلى الله وذلك كمـا فـي قولـه تعالى: " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (11) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " (الآيـة 7−13 من سورةالقصص).فهنالك مفارقـة دلاليـة واضـحة علـى صـعيد التركيـب بـين "فـإذا خفـت عليـه"، " فالقيـه فـي اليـم ولا تخـافي" وهـذا هـو شـان

([1]) فايز القرعان، **دراسة أسلوبية في النص القرآني**، ط.1، عالم الكتب الحديثة، إربد، 2004م، ص39.

(2)المصدر نفسه، ط.1، عالم الكتب الحديثة، إربد، 2004م ص 39.

النص القرآني في استدعاء الأبعاد الدينية مهما اختلفت البنى الأسلوبية في الخطاب، إذ يجب الحدس بالبعد العمقي الداخلي في صيغة النص القرآني التي تصب افتراقات البنى الأسلوبية الظاهرة في تعزيز أبعادها، فضلا عن المستوى البلاغي الذي يثري قوام الصورة التجسيدية لذلك البعد، وكان الأداء اللفظي المتمثل بحرف التوكيد (إنا) له سمة تكريس ذلك البعد وأكسبته خصوصية باستنبات المؤشرات الدالة على نفاذ قدرة الله وإتمام مشيئته بالحفظ تمهيدا للرسالة عبر محاور الاختلاف ورغمها بقوله: "إنا راده إليك وجاعلوه من المرسلين".

كما يبرز افتراق آخر في ظاهر السياق القرآني بين "أصبح فؤاد أم موسى فارغا" و "لولا أن ربطنا على قلبها". وكافة الافتراقات اللغوية السابقة تندرج في إطار كلي من مشمولات عناية الله لاستكمال الرسالة. التي تعين من خلالها إتمام مشيئة الله في حضانة سيدنا موسى ببيت فرعون الذي سيكون محور انطلاق الدعوة ومدار النزاع العقائدي المتأصل بين الكفر، والإيمان، والتي يتعذر فهم أبعادها حال عزلها عن الإطار الكلي في استنبات دلالاتها المتمثلة بحكم الله النافذة لإتمام الدعوة على هذه الأرض.

وما يسترعي الانتباه أيضا فضيلة الوصل بإلغاء العاطفة "فإذا خفت" "فالقيه" " فالتقطته" فقالت فرددناه الذي شكل رابطا أسلوبيا ذو قيمة عالية على المستويين الدلالي في بنية اسرد القصصي للمشهد القرآني والوظيفي كذلك المتمثل (بالفعل) والذي يتناسب وحركية الحدث في بنية النص ككل.

المطلب الثالث

البعث

أن الأساليب المتنوعة للقرآن الكريم في عرض صور البعث والحساب والنشور ومجالات تقريب الدلالة من أهم النواحي الإعتقادية للكلمات والمفردات القرآنية، بحيث مجرد ذكرها يؤدي إلى تخيل المعنى تخيلا حسياً يكاد يصل إلى درجة الواقع المحسوس.

ومن يجمل النظر لآيات القران المخصوصة بمناحي البعث والنشور يلحظ أنها أكثر تنوعا وثراء بعناصر الأسلوبية وما يتجسد بها من كافة ضروب الفصاحة والبلاغة والبيان؛ وذلك بما يتلاءم وقيمة التوسع المجازي في تمثيل مشاهد البعث، ورصد كافة الطاقات اللغوية لتقريب الدلالة بين ما هو تجريدي وأخر حسي، فعالم البعث يدخل في إطار اختصاص الله وحده بعلم الغيب، وهذا العلم هو بالنسبة للذات الإنسانية ضرب من المجردات التي يتعذر التقاط نواحيه الاعجازية دونما تمثل صوري لكيفية البعث، ومن هنا جاء " استقصاء النص القرآني على الترجمة دلالة على إعجازه، لان ترجمته بمثل لفظه تؤدي إلى استغلاقه وان عبر عن الآية بمعناها تأذى المعنى، وضاعت بنيته الأدبية[1] ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: " يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (44) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ

---

(1) ابن قتيبة،، **تأويل مشكل القران،** ت: السيد احمد صقر، المكتبة العلمية، ص22.

فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " آية 43-49 سورة آل عمران)

فالتجسيد السابق على البعث من العدم ضرب من المعجزات المختصة بالإرادة الإلهية، والتي يتعين على العقل البشري إدراكها، وذلك من موضعين من الآيات السابقة بصدد خطاب الله للمرأة والأمر اللافت في معرض ذلك الخطاب أسلوبية في معاينة دلالات البعث من (الحتمية والقضاء) بنفاذ الحكم في قوله تعالى " إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون" التي أعقبت إنكار مريم لحملها حيث لم يسبق أن مسها بشر. إلى (الإذن) بالإحياء في استدعاء مشيئة الله بالبعث كما يتجلى في قوله تعالى: " أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ "... (آل عمران: 49)..

أن صيغ (الأذن بالأحياء، والحتمية والقضاء) متجاوبة مع ما تقتضيه، فالصياغة الأولى كانت رداً يكفل أبراز عظمة الخالق وقدرته على البعث من العدم اثر سؤال السيدة مريم الاستنكاري لبعث روح منها دونما مسبب، فجاء الرد كفيلا بانصياعها لأمر الله وتوكيدا على نفاذ رغبته. من خلال حرف التوكيد (إنما).

في حين جاءت الصياغة القرآنية التالية (الأذن بالأحياء) المعنية بسريان قوة الله في رسله وتمكينهم من البعث بإذن منه عز وجل وعلا. فالمقام القرآني الأول من الدلالة الحتمية على قدرة الخالق على البعث انسحب حكمها تلقائيا على المقام الثاني بالتدريج وذلك على سبيل التكامل لا الفصل.

المبحث الثاني

المستوى البنائي

ويتضمن: (الاستفهام، الشرط، التوكيد)

يتمثل في هذا المستوى البحثي الانتقال بعناصر البنية من الحيز الدلالي والنحوي لبناء تكاملية الرؤية في النظر إلى الخطاب، " وإذا اقر الجميع بان اللغة هي مادة الأدب فان ذلك يتبعه اعتماد هذه اللغة مدخلا أصيلا لدراسة النص، فالأدب عملية انتقائية لغوية يتبعها عملية تشكيل بنائية، أي هناك خطين متقاطعين يعملان على إفراز الصياغة الجمالية".[1]

ويجدر بالباحث الإشارة إلى سبق عبد القاهر الجرجاني (471هـ) المحدثين في الوصول للعديد من البنى الأسلوبية واستقراء آلياتها في النص القرآني توصلا لغايات سر الإعجاز في القران الكريم من خلال نظريته في النظم، التي تتفاعل وفقا لمعاييرها العديد من الوظائف النحوية، والصرفية، والبلاغية لتشكيل بنية الدلالة[2].

حيث التقى الجرجاني في صوغه نظرية النظم، وآراء ابرز علماء علم الدلالة مثل: دي سوسيير، وتشومسكي، وانسحبت آراؤه على العديد من المقاييس المتوخاة في الحكم على النصوص التي يتشكل قوامها من فاعلية ومجازية اللغة.

كما تتلاقى نظرية الجرجاني في كشف سر إعجاز القران الكريم والعديد من الدراسات المختصة بعلم الأسلوب، وتوجه الدارسين إلى العديد من الظواهر الأسلوبية التي تندرج في إطار استكناه الناقد للبنيتين السطحية والعميقة وتطبيقها على النصوص، فجل الأفكار والظواهر الأسلوبية

([1]) محمد عبد المطلب، **العلامة والعلامية**: دراسة في اللغة والأدب، الوطن العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، بيروت، ط1، ص47.

([2]) انظر: عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م، ص (3–11).

التي صدر عنها الجرجاني تصب في بؤرة من التكامل والانسجام ولا يمكن فصلها بحال عن قوانين النحو وأصوله. [1]

وفي هذا الإطار البحثي يسعى الباحث إلى الكشف عن البنى الأسلوبية المتمثلة بالمطالب التالية: الاستفهام، والشرط، والتوكيد، ودورها في تعزيز الدلالات السياقية لأبنية الخطاب القرآني للمرأة.

المطلب الأول

الاستفهام

يعد الاستفهام أحد المناحي الأسلوبية التي تتجاوز وظيفته البنائية إلى وظائف دلالية، وكان عبد القاهر الجرجاني من أوائل من نظر وظائف الاستفهام عند وضعه نظرية النظم في دلائل الإعجاز ويقصد من الإتيان بأسلوب الاستفهام دلالتان [2]، إحداهما وضعية، لطلب الفهم عن شئ ما يجهله المخاطب، ومثال ذلك قوله تعالى " إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ " سورة طه (الآيه 40).

وثانيهما: مجازية، يكون المستفهم ليس بحاجة لفهم شئ ما، بل يقصد من خلالها إعلام المخاطب به، ومثال ذلك قوله تعالى "قَالُوا أَ تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَت اللَّهِ وَ بَرَكَتُهُ عَلَيْكمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مجِيدٌ " سورة هود (الآيه 73).

فضلا عن دلالاته القصوى في تعزيز الخطاب القرآني بوصفه ركيزة من الركائز المهمة في بنية الحوار التي يقصد من خلالها المشرع التنبيه، أو التذكير، أو التحذير، إذ يضفي على النص

([1]) انظر: للإفادة أكثر، **دلائل الإعجاز**، ص (11–56).

([2])انظر: عبد العظيم إبراهيم المطعني، **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم**، ج 1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1999م، ص 40 .

القرآنـــي حركيـــة تـــشحذ الأنفـــس، وتحفـــز العقـــول.ويفـــرق الدارســـون بـــين نـــوعين مـــن الاستفهام:أولهما:الاستفهام بمعنى الخبر ويأتي على ضربين: [1]:

- الاستفهام الإنكاري الذي يتطلب الإنكار بعده ومثال على ذلك ما جاء في قوله تعالى في معرض توجيه الخطاب للسيدة مريم: "قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ " سورة آل عمران: 47.
- الاستفهام التقريري وسبيله في ذلك إقرار المخاطب بما استقر عنده، ومثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: " قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا " آية 72 سورة هود.

أما ثاني أنواع الاستفهام فهو بمعنى الإنشاء، وله العديد من الحمولات الدلالية كالطلب، والتـذكير والتنبيـه، والنهـي والتحـذير، والـدعاء، والعـرض، والتخـصيص... الـخ. ومـن أمثلـة الاستفهام الإنشائي الطلبي ما جاء في قوله تعالى: " إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى " آية 40 سورة طه.

أوثر في هذا المقام القرآني الاستفهام بـ (هل) هنا " ترجمة" عما في نفسها من شدة الرغبة في قبول عرضها، لان فيه إنقاذا لأخيها من العناء ومشقة الجوع، ولان فيه تطييبا لنفس أمها".[2] وقد فسر الاستفهام البلاغي السابق وفقا لاعتبارات أسرار النظم وبلاغياته على ذات المنحى من التوجه في تحليل أبنية الخطاب لدى عبد القاهر الجرجاني، إذ يرى المفسر أن الاستفهام له أثر دلالي وبلاغي في ترجيح الصلة والموصول في " من يكفله" على الاسم الصريح وهو اسم أم موسى وهو إضفاء السكينة والاطمئنان القلبي له على من يكفله بعد أن رفض المراضع كلها....[3].

([1]) المصدر نفسه،ص 40 .

([2]) المطعني، **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم**، ص305.

([3]) المصدرنفسه، ص305.

إذ نلحظ توجه الدارس في استقراء نسق الاستفهام ورصد بناه التأويلية تحقيقا للمبدأ التوافقي الذي اقر به الجرجاني سابقا بين دلالات الألفاظ وتماشياتها وقواعد اللغة إيمانا بان المفردة تكتسب قيمتها الدلالية والفنية داخل السياق فجعل الجرجاني مبدأي (الاختيار، والتنسيق) معيارا أساسا لقياس الطاقة الإيحائية اللغوية. [1]

فضلا عن التشابه الجذري والعميق الذي يلحظ بين طروحات الجرجاني في الكشف عن سر الإعجاز وبين النظرية التوليدية التحويلية بأغلب جزئياتها وحدودها وقواعدها، التي تصب بمجملها في صلب نظرية تشومسكي إذ ينطلق تشومسكي من نظريته للقواعد في جانبها البنائي باتجاه التمييز بين ما يسمى بـ" الكفاية اللغوية، والأداء الكلامي"،[2] فوجد أن اللغة تتكون من وجهين: ذهني محدود وسماه الكفاية، وعملي سماه الأداء، والكفاية اللغوية كما حددها تشومسكي هي المعرفة الضمنية بقواعد اللغة، وهي قائمة في ذهن كل من يتكلم اللغة، وتوصف بأنها ملكة لا شعورية وتعزى إلى منطقة اللاوعي عند الإنسان، في حين أن الأداء الكلامي[3]

وهذه الكفاية ما اسماها الجرجاني (مقتضى العقل). [4] وبالتالي ينبغي أن ينظر للعدوان الانزياحي لفاعلية أسلوب الاستفهام في شتى تحولاته تحولا في إنتاج الدلالة، وان أي تغيير يطرأ على التركيب النحوي الأصيل، يولد تركيبا جديدا ذا مستوى دلالي جديد.

([1]) انظر: عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص (54–55).

([2])انظر: عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز** (54–55) .

([3]) انظر: ميشال زكريا، **مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة**، بيروت، 1984م، ص108–109.

([4]) انظر للإفادة أكثر: عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص56.

المطلب الثاني

الشرط

يعد الشرط من الظواهر الأسلوبية المهمة في السياق القرآني المعني ولقد حظي خطاب المرأة في القرآن الكريم بهذه البنى التركيبية التي تتخذ أسلوبياً خاصاً.

والشرط في اللغة أن يقع الشئ لوقوع غيره أي: يتوقف الثاني على الأول. فان وقع الأول وقع الثاني[1].

والشرط كما ورد لدى ابن يعيش: " العلامة والإمارة فكأن وجود الشرط علامة لوجود جوابه، ومنه أشراط الساعة أي علاماتها "[2].

ويستأنف قوله " والشرط إنما يكون بالمستقبل لأن معنى تعليق الشئ على شرط إنما هو وقوف دخوله في الوجود على دخول غيره في الوجود ولا يكون هذا المعنى في ما مضى" [3].

وذهب بعض الدارسين أن عدا الشرط مجانسا للاستفهام " والشرط كالاستفهام في أن شيئا مما في حيزة لا يتقدمه... فهو نمط من التراكيب يؤول إلى أسلوب من الأساليب... واعتبار التركيب الشرطي موضوعا قاراً كالاستفهام هو الذي دفع بالنجاة إلى الاهتمام بجواب الشرط أكثر من الاهتمام بالشرط..." [4].

([1]) صبحي عمر شو، **أسلوب الشرط والقسم من خلال القران الكريم**، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2009م، ص9.

([2]) ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي، **شرح المفصل**، د.ط، عالم الكتب، بيروت،1980م،ج 7، ص 41 .

([3])ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي، **شرح المفصل**، د.ط، عالم الكتب، بيروت،1980م، ج 7، ج 8، ص 155.

([4]) عبد السلام المسدي؛ ومحمد الهادي الطرابلسي، **الشرط في القرآن**: على نهج اللسانيات الوصفية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1985م، ص17–19.

ومن أمثلة التراكيب الشرطية في القران قوله تعالى: " فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ " (البقرة: 230)

وأما على مستوى الأسلوب الشرطي المعني بخطاب المرأة ما جاء في سورة مريم قوله تعالى: " فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا" مريم آية 26.

إن هذا المقام القرآني المخصوص بخطاب المرأة تتضح العناية الإلهية وأسلوبية المباشرة (الخطاب المباشر) في خطاب الخالق لمريم، ويتضح من الزيادات البنائية سواء على مستوى بنية التركيب الشرطية أو مضاعفة التوكيد بـ (اني) متلاحمة تشد من أركان الدلالة، فالتفسير بالزيادة في بنية التركيب النحوي يستتبعه توليد تركيبي جديد بمستوى دلالي أخر.ومثاله قوله **تعالى** "وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَاتُكْرِهُوا فتيَاتِكُمْ علَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ " سورة النور (الآية 33)

فمن تجليات اللحمة الأسلوبية التي يمكن للباحث أن يستشفها حال عزل السياق القرآني من الزيادات ومعاينته على المستوى البنائي والدلالي ككل؛ لملاحظة أثرها، فإذا ما استثني بالشرط والتوكيد (باني) ستنتفي معها الفاعلية الدلالية المستجداة جراء تلاحم كلا البنائين.

وان من إجراء عمليات استبدالية بإحلال كلمات أخرى وصولا لأقصى الإمكانات الدلالية التي تزيد من تماسك أبنية النص، وجلاء البنى التركيبية الداخلية فيه على المستوى الآخر العمقي هذا ما دعاه جاكبسون عند بحثه البنى العميقة في تحليل النصوص " بمبدأ التوازي".[1]

([1]) انظر للإفادة أكثر حول مبدأ التوازي: الطاهر بن حسين بومزبر، **التواصل اللساني والشعرية**، ص60.

وتـرى الدراسـات الألـسنية الحديثـة أن دراسـة النـصوص لا بـد مـن أن تحقـق الـشمولية والمنهجية العلمية عند دراستها ولا يتأتى ذلك إلا بمراعاة بين البنيتين السطحية والعميقة، وكل ذلك يكون تحت مبدأ التوازي الذي يتحقق للنص خلال شبكة من العلاقات الداخلية المحتكمة في بنيتها التركيبية لمجموعة من لنظم والقوانين التي تأتي على موازاة محور التأليف الأفقي، ويتحقق ذلك التوازي عبر التداخل بين مستويين احدهما: داخلي عمقي، والأخر: يتعلق بالبناء الخارجي لبنية الخطاب. [1]

وبذلك تتماهى بنية الخطاب البنائية، ببنية الدلالية، اثر رصد متغيراتها عبر مستوين الداخلي والخارجي، السطحي والعمقي؛ وذلك لبيان عضوية العلاقة الرابطة بين كلا المستويين الناجمة عن العمليات التحويلية.

المطلب الثالث

التوكيد

تتناسب أسلوبية التوكيد في الخطاب القرآني، بمقتضيات الحال وما يستدعيه من انتقاء الألفاظ التي تتناسب، والواقع الداخلي لبنيته وأثرها في حيز النص من تمكين للمعنى في النفس وتقويته.

ولابد هنا من الإشارة إلى التعريف بالتوكيد: فقد ورد عن الزبيدي [2] قوله:"التوكيد (بالواو) أفصح من التأكيد بالهمز، ويقال وكدت اليمين والهمز بالعقد أجود، وتقول إذا عقدت فأكد، وإذا حلفت فوكد "

([1]) انظر: الطاهر بن حسين بومزبر، **التواصل اللساني والشعرية**، ص62.

([2]) الزبيدي، **تاج العروس**: فصل الواو / باب الدال .

وعن أحمد بن فارس [1]: (وكد) كلمة تدل على شد وأحكام و أوكدك عقدك، أي شده، والوكاد حبل تشد به البقرة عند الحلب.

وعن ابن منظور [2]: وكد العقد والعهد أوثقه والهمزة فيه لغة، ويقال أوكدته، وأكدّته، وآكدته إيكادا وبالواو أفصح أي شددته، وتوكد (الأمر) تأكد (بمعنى) ويقال: وكّدت اليمين والهمز في العقد أجود.

ويصل الأسلوب القرآني إلى التوكيد بوسائل عديدة منها: "التوكيد اللفظي، والمعنوي واستعمال الحرف الزائد، والتقديم والقصر، والتعميم والصيغ اللفظية الخاصة وأدوات النسخ وضمير الفصل، وأدوات الاستفتاح... الخ. [3]

ولتمثل الغايات الأسلوبية للتوكيد ينبغي لمن يتصدى لتفسير آيات القران أن يلم بتغيرات المواقع النحوية، وابدالاتها عند الوقوف على تلك الظاهرة الأسلوبية لعل من أبرزها ظاهرة(التقديم)، فالوصول إلى توكيد المعنى عن طريق تقديم مواقع نحوية على أخرى يكسبها رتبا دلالية مختلفة.

والتقديم احد الظواهر الأسلوبية التي يتجاوز بها حدود التوكيد اللفظي، والمعنوي إذ تتعالق بشقين على المستوى الدلالي والبنائي احدهما يتصل بحقائق النحو، والأخر يتعلق بفلسفة البلاغة[4].

ومن أمثلة التقديم ما جاء في قوله تعالى: "المطلقات يتربصن"وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

([1]) أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة:** باب الواو والكاف وما يليها .

([2]) ابن منظور، **لسان العرب:** فصل الواو حرف الدال، مادة **(وَكَدَ).**

([3]) تمام حسان، **البيان في روائع القران:** دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، 1993م، ص469.

([4]) انظر: تمام حسان، **البيان في روائع القران**، ط.1، عالم الكتب، بيروت، 1993م، ص 501.

الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (228 سورة البقرة.)

إذ ثمة تغير في موقعية الفعل والفاعل، واستتبع ذلك تغير جوهري في مستوى الدلالة التي يتعين عليها إبراز أهمية الفاعل في: " والمطلقات" الذي أصبح يؤدي مهمة المبتدأ في هذا المقام. مع إشغاله وظيفة الفاعلية على المستوى الدلالي؛ وبالتالي فان البنى التركيبية جاءت في هذا النص موجها لخدمة الغرض الدلالي بشكل أساسي إذ يبرز ذلك الخطاب أهمية أن تقوم المرأة بفاعلية المراقبة لنفسها عند وقوع الطلاق.

ومن أسلوبية القران الكريم الأخرى في الوصول إلى مزية التوكيد استعمال أداة (إنّ) المكسورة المشددة وفائدتها: " التأكيد لمضمون الجملة"(1)، وتثبيت الحكم حين يكون المخاطب طالبا لذلك.

ومن مواضع تلك الأسلوبية في الخطاب القرآني للمرأة ما جاء في سورة يوسف قوله تعالى: " وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28) يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ "الآية 24–30 سورة يوسف.

---

(1) عبد الرحمن المطردي، **أساليب التوكيد في القران**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1986م، ص141.

ويستقرئ الباحث تلك البنية في مستوييها البنائي والدلالة عبر مستويين من التضاد اللفظي الداخلي الذي تحقق من خلال " انه من عبادنا المخلصين" ودلالة " إنا لنراها في ضلال مبين".

إذ ساهمت إن في تكريس بنية المفارقة في الجانب الدلالي بين صلاح سيدنا يوسف، وضلال امرأة العزيز، ويذهب الدارسون إلى استئثار (إن) بدلالة " زيادة التوكيد"[1] حال دخولها على ضمير الفصل.وبالتالي يلحظ الباحث أن بدخولها (إن) كلتا الحالتين السابقتين تأكيد من الحق سبحانه وتعالى على دلالة الهداية والصلاح في سيدنا يوسف، ودلالة الضلالة والعدول عن الحق في امرأة العزيز، وصولا إلى الغرض المتوخى بإدماج كلتا البنيتين الدلالية والبنائية في تشكيل بنية تركيبية واحدة عبر المفارقة الأسلوبية السابقة.

([1]) انظر للإفادة: محمد حسين أبو الفتوح، **أسلوب التوكيد في القران الكريم**، مكتبة لبنان، بيروت، 1995م، ص133.

الفصل الثالث

المستوى التركيبي

المبحث الأول: التقديم والتأخير.

المبحث الثاني: الحذف والذكر.

المبحث الثالث: الفصل والوصل.

المبحث الرابع: التعريف والتنكير.

الفصل الثالث

المستوى التركيبي

تمهيد:

يشكل التحليل التركيبي للغة الخطاب محورا رئيسا من محاور الدراسة الأسلوبية والدلالية؛ إذ يعد من أهم مستويات التحليل اللغوي للنص الأدبي، والأسلوبية بدورها تعنى بهذا النوع من التحليل للوقوف على أهم الخصائص المميزة لهذا النص أو ذلك [1].

والتحليل التركيبي في الدراسة الأسلوبية يتطلب دراسة الأساليب الإنشائية، والجمل من حيث ترتيبها من تقديم وتأخير، ودراسة الصيغ الفعلية وأزمانها، والوقوف على عناصر الجملة وأجزائها ومبادئ الاختيار فيها، مما يشكل انزياح عن المألوف، ثم دراسة الجملة، والفقرة، وصولا إلى دراسة النص بأكمله، فنقطة البدء كما يرى(عبد المطلب):"ترتكز على الجزئيات وصولا إلى كلية العمل الأدبي" [2].

وتجدر الإشارة إلى أن السياق يتبوأ منزلة عظيمة في التحليل التركيبي؛ ذلك أن السياق لا يقتصر على اللفظة المفردة، بل يتجاوزها ليشمل التركيب، وصولا إلى النص الأدبي كله، ولا شك أن دراسة التركيب من خلال السياق يثري البحث الأسلوبي و الدلالي، ويزيد من حيوية الدراسة وترابطها وتسلسلها، لا سيما أن لغة الخطاب تعج بالمتشابه اللفظي الذي يحمل في كل موضع من مواضع وروده دلالات أضافية، ومعاني بلاغية، يمكن استخلاصها من السياق. وسيتناول هذا

---

[1] انظر: صلاح فضل، **علم الأسلوبية مبادئه وإجراءاته**، ط2، مؤسسة المختار، القاهرة، 1998م، ص165-166.

[2] محمدعبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، ط1، الشركة المصرية للنشر، مصر، 1994م،ص 207.وانظر: عبده الراجحي، **علم اللغة والنقد الأدبي**، علم الأسلوب، مجلة فصول، مجلد 1، ع2، 1981م، ص119.

الفصل بعض من المسائل المتعلقة بخطاب المرأة، وهي تلك التي تختص بالجانب التركيبي، وذلك كما يلي:

المبحث الأول

التقديم والتأخير

يرى البلاغيون والأسلوبيون من وراء دراستهم واهتمامهم بمبحث التقديم والتأخير إلى غاية تتمثل في الكشف عن قيمته الدلالية والنفسية في العمل الأدبي [1].

ويرى صلاح فضل من باب الغرابة " أن مبحث التقديم والتأخير لم يظفر بتسمية اصطلاحية في البلاغة العربية بالرغم من أهميته كشكل بارز عندما يتم بطريقة مخالفة للاستخدام العادي بطبيعة الحال [2].

وإذا كان النظام المألوف عند النحاة واللغويين يقتضي اعتماد المسند والمسند إليه وذلك بذكر المبتدأ أولاً والخبر ثانياً، أو الفعل أولاً والفاعل ثانياً، إلا أنّ " الوجه الآخر لعلاقة الإسناد يمكن أن يتضمن كثيراً من العلاقات الأسلوبية؛ كالمفارقة، والتماثل، والتخالف، وغيرها من العلاقات المعنوية الكثيرة التي هي في الوقت نفسه لون من ألوان ارتباط المتقدم بالمتأخر سواء كان هذا المتقدم المسند إليه أو المسند، وهذا الارتباط يثري فاعلية اللفظة المتقدمة ويدعم نماء الفكرة، لا سيما عند تنوع وتعدد الارتباطات بين الجمل على مستوى النص كله، فتتشكل بنية ذات القوة

([1]) أنظر: يوسف أبو العدوس، **الأسلوبية– الرؤية والتطبيق–**، ط.1، دار الميسرة، عمان، 2007م،ص249. شكري عياد، اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم، 1985م، الرياض المملكة العربية السعودية، ص89 .

([2]) صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1996م، ص278. ربيع محمد عبد العزيز، التقديم والتأخير فى الجملة الخبرية – دراسة أسلوبية –، جامعة الفيوم، مصر، 2004م، ص3 .

التعبيرية، والدلالة الثرية، التي يتضاعف إحساس المتلقي بها، وهكذا يثري الإبداع دلالة الموقعية للفظة المختارة ويرقى بارتباطاتها بأبعد مستوى" (1).

وببين الباحث المواضع التي وقع فيها تقديم وتأخير في خطاب المرأة في القرآن الكريم، وهي:

أولا: بيان التقديم والتأخير:

كان مقتضى اللغة أن تخاطب آسيا زوجها مستعطفة إياه، وذلك بتقديم التماسها "لَا تَقْتُلُوهُ "سورة القصص،الآية:9،ثم تشرع في ذكر الأسباب الداعية لهذا الالتماس "قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ" سورة القصص،الآية:9،تسويفا لمطلبها، لكنها قدمت الأسباب أولا وأخرت الالتماس قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ" ولهذا غايات بيانية منها:

1- الأغراء،ليلتفت السامع إلى ما سيترتب على قبول العرض من منافع قبل التفاته إلى فداحة الفعل، فقدمت جلب المصالح على درء المفاسد.

2- استرعاء النظر إلى شخصها ومصلحتها في هذا الأمر، لإدراكها حجم ثقلها في القصر، وذلك قبل زهدهم فيها عند إعلان إيمانها بالله وحول هذا المعنى قال الألوسي:" كأنها لماتعلم من مزيد حب فرعون إياها،وأن مصلحتها أهم عنده من مصلحة نفسه، قدمت نفسها عليه، فيكون ذلك أبلغ في ترغيبه في ترك قتله (2).

3- إلحاح فكرة الأمومة في نفسها، وطغيان هذا الدافع على سلوكها من وراء إنقاذ الطفل واستبقائه، ليكون قرة عين لها ولزوجها.

---

(1) سعد أبو الرضا، **في البنية والدلالة – رؤية لنظام العلاقات في اللغة العربية**– منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988م، ص 135.

(2) الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله حسيني، **روح المعاني**، د.ط، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1990م، ج10،ص258. د. محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب، ص ???: ???، ط: الثانية، مكتبة وهبة، القاهرة، ???? هـ – ???? م .

ويوحي الحذف في الخطاب، الذي يمكن تقديره ب " اجعلوه قرة عين لي ولك "أو " أبقوه قرة عين لي ولك " أو "هو قرة عين لي ولك " أو أي صيغة يمكن أن تؤدي هذا المعنى، يوحي بأن امرأة فرعون كانت في عجلة من أمرها ولهفة على الطفل وخوف من مبادرة فرعون بقتله، فعمدت إلى الإيجاز وسرعة الأداء، وهذا ما يسمى في علم الأسلوب الحديث " بالاقتصاد اللغوي "وهو سعي الإنسان إلى التعبير عما في داخله بأقل ما يمكن من كلمات توفيرا للوقت والجهد، وقد كانت غاية آسيا في هذا الموقف إدراك الوقت قبل ضياع الطفل[1].

ثانيا: دلالة تقديم المسند إليه:

قال تعالى "فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" سورة آل عمران الآية:36.

هنا سأقوم بذكر أقوال المفسرين فيما يتعلق بهذه الآية الكريمة:

يقول الألوسي في روح المعاني:" واستقلالها بالتسمية لكون أبيها قد مات، وأمها حامل بها، فتقديم المسند إليه للتخصيص يعني:التسمية مني لايشاركني فيها أبوها،قيل: وفي ذلك تعريض بيتمها استعطافا له تعالى وجعل ليتمها شفيعا له "[2].

ويقول الألوسي إن التقديم الإسناد هذا إنما كان لغرض إظهار" التحسر والتحزن أيضا أي إني سميتها مريم لأبيها لعدم احتفاله بها، والتفاته إليها لكراهة الرجال في الغالب للبنات"[3].

([1]) غدير الشمايلة، **خطاب المرأة في القران دراسة بلاغية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الاردنية، ايار 2007م، 66، وصفحة 222.

([2])الألوسي، **روح المعاني**، ج2، ص131.

([3]) االمصدر نفسه ج2، ص131.

ويعود للتلطف مرة أخرى بقوله:" فمع أنه خلاف ما عليه أكثر الأثار ونطق به غالب الأخبار من موت أبيها، وهي حامل يجر إلى ما ينبغي أن ننزه عنه ساحة الرجل الصالح عمران"(1).

والحقيقة أنه ليس في تسمية الأم لابنها أي استبداد أو تعدي، وأنما هو حق مشروع، وقد ذكر السيوطي في الإكليل أن في الآية دليلا على جواز تسمية الأطفال يوم الولادة، وأنه لايتعين يوم السابع، لأنها إنما قالت هذا بأثر الوضع، كما فيهاى مشروعية أصل التسمية وأن الأم قد تسمي ولا تختص بالأب (2).

ويمكن الرد على ما جاء في أقوال المفسرين حول وسمهم لامرأة عمران بالاستقلالية، بالتنبيه على تركيب الخطاب وترتيب وحداته اللغوية، فقد قدم الجار والمجرور الدالين على ذات الله سبحانه وتعالى:"إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " سورة آل عمران، الآية:35، كي نفهم أن المرأة لم تسع لأي منفعة دنيوية من وراء هذا النذر، كما لم تسع للاستبداد بالقرار، أو تسمية المولود. (3)

يقول الشوكاني:" جاء تقديم الجار والمجرور لكمال العناية "(4). يقصد عنايتها بالعلاقة التي تربطها بالله سبحانه وتعالى.

---

(1) االمصدر نفسه، ج2، ص131-132.

(2) السيوطي،جلال الدين، **الإكليل في استنباط التنزيل**، تحقيق: سيف الدين عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985م، ص 68-69 .

(3) غدير الشمايله، **خطاب المرأة في القرآن دراسة بلاغية**، ص 27.

(4) جلال الدين السيوطي، **الإكليل في استنباط التنزيل**، تحقيق: سيف الدين عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985م، ص 68-69 .

ولاحظ صاحب البحر المحيط تقديما للمنادى (رب) تأدبا مع الله تعالى، فقال: " لم تكتف حنه بنية النذر حتى أظهرته باللفظ، وخاطبت به الله تعالى وقدمت قبل التلفظ نداءها له تعالى بلفظ الرب الذي هو مالكها ومالك كل شيء [1].

وهذا الأسلوب في التقديم والتأخير هو الذي استخدمته امرأة فرعون تأدبا مع الله تعالى التي صارت في خطابها مثالا في الذوق ودقة التعبير، فقد سئل أحد العلماء:" اين تجد في كتاب الله قولهم: الجار قبل الدار " قال في قول الله تعالي " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " سورة التحريم، الآية:11.

ومما يثنى عليه أن المفسرين المعاصرين اهتموا اهتماماً كبيراً بالجانب الأدبي والإنساني للخطاب القرآني، إذ يقول السيد قطب عند معرض حديثه عن نذر امرأة فرعون: قصة النذر تكشف لنا عن قلب امرأة عمران أم مريم وما يعمره من إيمان، ومن توجه لربها بأعز ما تملك وهو الجنين الذي تحمله في بطنها خالصا لربها، محررا من كل قيد ومن كل شرك "[2].

ويقول أيضا عبد الكريم الخطيب في هذا الصدد الاهتمام بالجانب الأدبي والإنساني:" فإنها ما كادت تتحقق من أن جنينا يتحرك في أحشائها حتى أقبلت على الله بكيانها كله، وإيمانها بالله جاعلة هذا الذي وهبها إياه خادما لله تعالى، محرراً من ربط يربطه بالحياة، تحية شكر له على ما أنعم عليها من ولد، بعد يأس كاد يدخل عليها، ويخرجها من الدنيا عقيما بين النساء"[3].

([1]) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **التفسير الكبير المسمى البحر المحيط** ، د.ط، دار الفكر القاهرة، ج2، ص 455.

([2]) شهاب الدين الحلبي، **حسن التوسل**، ط.1، دار الفكر، بيروت، ص72.

([3]) عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي،ج3، ص392.

لقد بلغ هذان التوجيهان الغاية في فهم الخطاب لوجود الفروق بين المفسرين، على النقيض من قول ابن إسحق:"كانت عجوزا عاقرا تسمى حنة، وكانت لا تلد، فجعلت تغبط النساء لأولادهن "[1].

ثالثا: دلالة تقديم السجود على الركوع، في خطاب السيدة مريم [2]:

قدم السجود على الركوع في خطاب مريم رضي الله عنها وكان مقتضى الأمر أن يرد ذكر الركوع قبل السجود، حسب واجبات الصلاة، وذلك في قوله تعالى " يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ "سورة آل عمران، الآية 43.

وقد شكل الخطاب هنا إشكالا بلاغيا جعل المفسرين يحاولون تعليل المسألة فقال ابن عطية:" هذه الآية أشد إشكالا من قولنا قام زيد وعمرو، ليس له رتبة معلومة،وقد علم أن الركوع بعد السجود، فكيف جاءت الواو بعكس ذلك في هذه الآية "[3].

وقد أنكر أبو حيان الأندلسي على ابن عطية هذا الإشكال، فقال:" وهذا كلام من لم يمعن النظر في كتاب سيبويه، فإن سيبويه ذكر أن الواو يكون معها في العطف المعية،وتقديم السابق على اللاحق، ويحتمل ذلك احتمالات سواء، فلا يترجح أحد الاحتمالات على الآخر"[4].

فأبو حيان بإفادته من توجيه سيبويه لعطف الواو يرى أن تقديم السجود على الركوع لم يكن أمرا لمريم بتقديم أحدهما على الآخر، وإنما هو تقديم وتأخير في الذكر كثيرا ما يقع عند ورود العطف.

([1]) الطبراني، ابو جعفر محمد بن جرير **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ط.1، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج6، ص 332.

([2]) غدير الشمايله، **خطاب المرأة في القران دراسة بلاغية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، أيار 2007م،ص 211.

([3]) ابن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبدالله الأنصاري، الدوحة، ط1، 1982م، ج3، ص 115.

([4]) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**،ج2، ص478.

ذهب القرطبي إلى ما ذهب إليه أبو حيان في التقديم والتأخير، فقال: قام زيد وعمرو جاز أن يكون عمرو قام قبل زيد، فعلى هذا يكون المعنى واركعي واسجدي "[1].

وذكر الزمخشري توجيها آخر في تأخير الركوع على السجود، فقال:" ويحتمل أن يكون في زمانها من كان يقوم في صلاته ولا يركع، وفيه من يركع، فأمرت بأن تركع مع الراكعين، ولا تكون مع من لا يركع "[2].

وأما الفخر الرازي فقد وجه هذا التقديم والتأخير خمس توجيهات بلاغية، بيانها على النحو الآتي:

الأول: أن الواو تفيد الاشتراك ولا تفيد الترتيب: وهذا يشبه قول أستاذه عبد القاهر الجرجاني: " فإذا قلت جاءني زيد وعمرو، لم تفد الواو شيئا أكثر من إشتراك عمرو في المجيء الذي أثبته لزيد والجمع بينه وبينه "[3].

الثاني: إن غاية قرب العبد من الله أن يكون ساجدا،قال صلى الله عليه وسلم: أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد "[4].فلما كان السجود مختصا بهذا النوع من الرتبة والفضيلة، لا جرم قدمه على سائر الطاعات.

الثالث: قال ابن الأنباري: قوله تعالى (اقنتي) أمر بالعبادة على العموم، ثم قال بعد ذلك (اسجدي واركعي) يعني استعملي السجود في وقته اللائق به، واستعملي الركوع في وقته اللائق به،وليس المراد أن يجمع بينهما [5].

([1]) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج4، ص55.

([2]) الزمخشري، **الكشاف**، ط.1، دار المصحف، القاهرة، ج1، ص 355.

([3]) عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص 153.

([4]) رواه مسلم،**صحيح مسلم**، كتاب الصلاة،باب:أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، ص 350 .

([5]) الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م، ج8، ص48.

الرابع: أن الصلاة تسمى سجودا،كما كما قيل في قوله تعالى (وَأَدْبَارَ السُّجُودِ)

سورة ق الآية: 40.وفي الحديث:" إذا دخل أحدكم المسجد فليسجد سجدتين " [1]. وأيضا المسجد سمي باسم مشتق من السجود، والمراد منه موضع الصلاة، وأيضا أشرف أجزاء الصلاة السجود، وتسمية الشيء باسم أشرف أجزائه نوع مشهور في المجاز ".[2]

وعلى محمل المجاز يكون معنى (اسجدي) أي صلي، يقول الفخر الرازي، وتفصيله في أمرين هما:

اسجدي: أمر بالصلاة حال الانفراد.

اركعي مع الراكعين: أمر بالصلاة في الجماعة.

أو يكون المراد من الركوع التواضع،وعندئذ يكون السجود أمرا ظاهرا بالصلاة والركوع أمرا بالخضوع و الخشوع.

الخامس: لعله كان السجود في ذلك الدين متقدما على الركوع [3].

على أن البقاعي في تفسيره (نظم الدرر) أكد بعد استقصائه لمعنى الصلاة في التوراة على أن صلاة اليهود لا ركوع فيها، فقال: فالذي فهمته من هذه الأماكن وغيرها أن الصلاة عنده تطلق على الدعاء، وعلى فعل هو مجرد السجود، فإن ذكر معه ما يدل على وضع الوجه على الأرض فذاك حينئذ يسمى صلاة، وإلا كان المراد به مطلق الانحناء للتعظيم، وذلك موافق للغة، قال في القاموس: سجد خضع، والخضوع التطأمن، وأما المكان الذي فيه ذكر الركوع فالظاهر أن معناه الصلاة، يقال: ركع، أي صلى، وركع إذا انحنى كبوا، والراكع من يكبو على وجهه، ولا يصح حمل الركوع على ظاهره، لأنه لا يمكن في حال السجود، وإن ارتكب فيه تأويل لم يكن بأولى مما ذكرته

---

(1) رواه البخاري ومسلم، في كتاب الصلاة، باب إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين، ج1، ص 352.

(2) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص48.

(3) المصدر نفسه، ج8، ص48.

في الركوع والله سبحانه وتعالى أعلم، واحتججت باللغة لأن مترجم النسخة التي وقعت لي في عداد البلغاء، يعرف ذلك من تأمل مواقع ترجمته لها، على أني سألت عن صلاة اليهود الآن فأَخبرت أنه ليس فيها ركوع [1].

وقد تفرد الزركشي بإيراد معنى آخر للركوع وهو الشكر، يقول:" وقيل المراد ب (اركعي) اشكري، وقيل أراد (اسجدي) صلي وحدك، و (اركعي) صلي في جماعة، وقال مع الراكعين"[2].

واستشعر البيضاوي أن في الآية تنديدا بمن غيروا معالم دينهم ونفوا الركوع من صلاتهم:" اركعي مع الراكعين للإيذان بأن من ليس في صلاتهم ركوع ليسوا مصلين "[3].

وبعد عرض ما تقدم من تقديم السجود على الركوع نصل إلى عدة أمور، هي:

1. قد لا تفيد الواو بين السجود والركوع معنى الترتيب لكنها تفيد معنى الإشراك كما قال سيبويه وعبد القاهر الجرجاني.
2. قد يحمل على محمل المجاز، فيكون السجود كناية عن الصلاة كاملة، من باب تسمية الشيء باسم أشرف أجزائه، كما ذهب الفخر الرازي.
3. قد يحمل الركوع على محمل المجاز، بمعنى التواضع كما قال الرازي أيضا.
4. وغيرها من الأمور التي تأتي في احتمال تقديم السجود على الركوع.

([1]) برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط 1، 1995م، ج2، ص 81- 82.

([2]) الزركشي، **البرهان**، ج3، ص245.

([3]) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م، ص 73.

دلالة عدم ورود واركعي مع الراكعات:

إن ورود هذا السؤال وعلى هذه الصيغة:" لما لم يقل واركعي مع الراكعات ؟ يحمل موقفا متزمتا من صلاة المرأة في المسجد، رغم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن هذا الموقف، فقال:"لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" [1].

وقد حاول هؤلاء المفسرون توجيه "مع" في الآية الكريمة توجيهات عدة لنفي صلاة مريم مع الجماعة، فقال الألوسي:"(مع) مجاز عن الموافقة في الفعل فقط دون اجتماع، أي افعلي كفعل الراكعين، وإن لم توقعي الصلاة معهم ؛ لأنها كانت تصلي في محرابها، وأيضا أنها كانت شابة، وصلاة الشواب في صلاة الجماعة مكروهة"[2].

ويقول في موقع آخر:"وأما قوله مع الراكعين دون الراكعات ؛لأن هذا الجمع أعم إذ يشمل الرجال والنساء على سبيل التغليب ولمناسبة رؤوس الآي " [3].

وكان الألوسي يقول: لولا الفواصل ورؤوس الآي لكان مقتضى القول: اركعي مع الراكعات وكأن القرآن الكريم يلوي أعناق معانيه لتستقيم له القوافي ورؤوس الآي.

ويشدد الفخر الرازي على قضية الاختلاط هذه، فيقول: " كانت مأمورة بأن تصلي في بيت المقدس مع المجاورين فيه، وإن كانت لا تختلط بهم " [4].

واحتار صاحب البحر المحيط في معنى (مع) فوجهها قائلا: "ومع في قوله" مع الراكعين " تقتضي الصحبة والاجتماع في إيقاع الركوع مع من يركع، فتكون مأمورة بالصلاة في جماعة،

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، حديث رقم (136)، ج1،ص327.

(2)الألوسي، **روح المعاني**، ج2،ص 151.

(3) المصدر نفسه، ج2،ص152.

(4) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص 49.

ويحتمل أن يتجوز في (مع) فتكون لموافقة الفعل فقط دون اجتماع، أي افعلي كفعلهم، وإن لم توقعي الصلاة معهم، فإنها كانت تصلي في محرابها "[1].

وخالف الماتريدي كما نقل صاحب البحر المحيط هذا المذهب، فلم يكره لمريم صلاة الجماعة:" ولم تكره لها صلاة في جماعة، وإن كانت شابة ؛لأنهم كانوا ذوي قرابة منها ورحم، لذلك اختصوا في ضمها وإمساكها "[2].

ومن المحدثين ذهب القاسمي في تفسيره (محاسن التأويل) إلى فهم المعنى بصورة مغايرة، فقال: ولتكن صلاتك مع المصلين، أي في جماعة فإنك في عداد الرجال لما خصصت به من الكمال "[3].

والحقيقة أن هذا الإشكال يتمثل في التنبيه على أن (الراكعين)هي صيغة لجمع المذكر السالم،الذي يطلق في اللغة على الذكور والإناث على حد سواء، من باب التغليب، لذلك كان ممكنا لمريم رضي الله عنها مع جماعة من النساء في ذات المسجد.

ومن الأمثلة على تقديم المسند على المسند إليه سمة التكرار في قول الله تعالى " وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا " سورة يوسف، الآية:21.

مما يسترعي الانتباه عند قراءة الآية السابقة التي تضمنت قول العزيز لامرأته " وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا " سورة يوسف، الآية:21.

تكرار هذا القول على لسان امرأة فرعون في سورة القصص ؛ وذلك عند دخول الطفل موسى عليه السلام إلى قصر فرعون، حين حملته أمواج البحر إلى حيث مقره، فحاول قتله، إلا أن

(1) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج 2، ص 478.

(2) المصدر نفسه، ج 2، ص 478. وأنظر: غدير الشمايلة، **خطاب المرأة في القرآن الكريم**، ص29.

(3) القاسمي،جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل**، ط.2، دار الفكر، بيروت، 1900م، ج 2، ص62.

امرأتــه صــاحت بــه " لَا تَقْتُلُــوهُ عَــسَى أَنْ يَنْفَعَنَــا أَوْ نَتَّخِــذَهُ وَلَــدًا وَهُــمْ لَا يَــشْعُرُونَ " ســورة القصص،الآية:9.

ويختلف الخطابان فيما سبقهما من أفعال تمهد لهذا القول، فعلى حين سبق قول العزيز بصيغة الأمر: "وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا "سورة يوسف، الآية 21، وسبق قول امرأة فرعون بصيغة النهي الخارج إلى غرض التوسل والالتماس:" لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " سورة القصص الآية:9.

وهذا الاختلاف يشير إلى طبيعة الأدوار الاجتماعية التي يعيشها كل من الرجل والمرأة في المجتمع البشري، فالرجل بحكم القوامة يعمد إلى صيغة الأمر (أكرمي مثواه) والمرأة تتوسل بصيغة النهي الخارجة إلى غرض الالتماس والرجاء(لاتقتلوه).

وتظهر المقابلة بين الخطابين تشابها في سمة التقديم والتأخير عند ذكر المنفعة المتوخاة من الطفل القادم، وتقديمها على ذكر تبنيه ؛ فقد لجأ كل من العزيز وامرأة فرعون إلى هذا الأسلوب ؛ إغراء للطرف الآخر بقبول الطفل فيما لو رفض تبنيه. [1]

إن دراسة التقديم والتأخير في البلاغة دراسة لأسلوب التركيب لا للتركيب نفسه. على الرغم من وجود التداخل بين بلاغة التركيب وأسلوبه وبديهي أن البلاغة تقيم مع الأسلوب علاقات وطيدة منذ زمن. فقد يتقلص الأسلوب أحيانا حتى لا يعدو أن يكون جزءا من نموذج التواصل البلاغي ، وينفصل أحيانا عن هذا النموذج ويتسع حتى يكاد يمثل البلاغة بعده بلاغة مختزلة. ويصدق مثل هذا القول على العلاقة بين البلاغة والأسلوب من جهة والشعرية من جهة أخرى.فالشعرية البلاغية تركز على المقومات البلاغية وعلى استعمالها ، في حين أن شعرية الأسلوب تعالج أدبية النص بعدها مجموعة من الخصائص الملازمة للغة الجمالية. وقد أبانت هذه

([1]) غدير الشمايله، **خطاب المرأة في القران دراسة بلاغية**، ص 65.

الترابطات عبر التاريخ عن تناقضات عدة ، فنظرية الأسلوب الزاهدة في الأثر (التأثير) تتعارض مع البلاغة التي تسعى إلى الإقناع عن طريق الاحتجاج، الأمر الذي جعل الجرجاني ومن تابعه من البلاغيين يؤكدون على أهمية دراسة الأساليب البلاغية التي يظهر فيها الترابط بين أقسام التركيب، ومن أوضحها أسلوب التقديم والتأخير لما له من أثر في إبراز المعاني التي لا تظهر إلا من خلاله [1].

المبحث الثاني

الذكر والحذف.

سياقات الذكر والحذف:

تناول البلاغيون في مباحث علم المعاني ظاهرة الذكر والحذف في أحوال المسند والمسند إليه، وما تخرج إليه من معاني بلاغية يمكن استخلاصها من خلال السياق [2].

والحذف بوصفه أسلوبا تحويليا، يسهم في الكشف عن كثير من المعاني العميقة والأسرار الجمالية الجمة، من خلال ما يتضمنه من إيجاز ورمزية، وأسرار جمالية يحسها المتلقي، ويعيش مع إيحاءاتها التي تبدو تصويرية في كثير من الأوقات ؛ على أن لا يسهم هذا الحذف في إضعاف المعنى، وتفتيته، بل يعمد إلى تكثيفه وشد أزره، فيجمع ما بين القوة في التركيب والدقة في البيان [3].

([1]) سيبويه، **الكتاب**، ط.1، دار الكتاب، بيروت، 1987م، ج2، ص127. هنريش بليت، **البلاغة والأسلوبية**، دار الفكر، القاهرة، 2002م، ص19.

([2]) انظر :الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ج3،ص112. السكاكي، أبو يعقوب يوسف، مفتاح العلوم، ص176. مصطفى شاهر، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز،ط1،دار الفكر،عمان، 1430هـ-2009م،ص118.

(3) انظر: محمد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، ص313. مصطفى شاهر، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والعجاز، دار الفكر، عمان،2009م،ص118.

ويشير عبد المطلب إلى أن الأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للتعبير في استخدام هذا النسق من الأداء بحيث يكون العدول عنه أفساداً له، فإننا نرى فيه (ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة وتحرك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تنس.....) [1].

وإذ كانت ظاهرة الحذف في المسند والمسند إليه تحقق معاني بلاغية، فإنها كذلك في حذف بعض قيود الجملة ومتعلقاتها، كحذف الصوت أو اللفظ أو الأداة أو الجملة، مما يشكل فسحة كبيرة للتعبير البلاغي، لا سيما تلك التي يكون فيها الحذف عدولا عن المألوف، وانزياحا عن القاعدة المعيارية المعروفة؛ التي يكون فيها "ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد في الإفادة" [2].وهنا تتجلى القيمة البلاغية والمعنوية للسياق؛ ذلك أن المعنى" يفهم من السياق أكثر مما يفهم من الوحدات الصريحة التي ت}لفه، أي أن السياق قد يعطي المدلولات التي لا يمكن أن تعزى بشكل بسيط إلى وحدة معينة، أو وحدات مضمونة بطريقة آلية" [3].

عند قراءة النص القرآني في خطاب المرأة يجد كثيرا من ألوان الحذف البلاغي في لغة الخطاب، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

1- قال تعالى في قضية النكاح:" وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ

---

(1) المرجع نفسه، ص313.

(2) الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ج3، ص146.

(3) مصطفى **ناصف**، **نظرية المعنى في النقد العربي**، ط2، دار الأندلس،القاهرة، 1981م، ص161–162. وانظر: مصطفى شاهر،ص118.

عَلِيمًا" سورة النساء، الآية:127، فهذا النص القرآني وقع فيه حذف وقد اختلف أهل اللغة في تقدير المحذوف على قولين:

الأول: أن التقدير: وترغبون(في) أن تنكحوهن لجمالهن، وهو قول عائشة وعبيدة.

الثـاني: أن التقـدير: وترغبـون(عـن) أن تنكحـوهن لعـدم جمـالهن، وهـو قـول الحـسن[1]، فالاختلاف في التقدير قد يؤدي على معان متضادة في فهم النص.

2- وقال الله تعالى:" الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" سورة المائدة، الآية: 5،ويوجد في هذا النص القرآني حذف أيضا، والتقدير، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم (حل لكم كذلك)[2]

3- وقال الله تعالى في موضع آخر من كتابه العزيز:" قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (4) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7)" سورة المؤمنون، الآيات:1-7، فهذا النص يحتمل أن يكون جاء على الأصل وليس فيه حذف، ويحتمل أن يكون فيه حذف والتقدير: فمن ابتغى (منكما) وراء ذلك فأولئك هم العادون [3].

([1]) انظر: **الخصائص أحكام القرآن** ج2،ص282، الشوكاني، **فتح القدير**، ج1، ص520.

([2]) انظر: عز الدين عبد العزيز بن عبد السل، **الإشارة إلى الإيجاز**،ص15. الزركشي، **البرهان**، ج3، ص141. مصطفى شاهر، **أسلوب الحذف والذكر في القرآن الكريم**، ص134.

([3]) انظر: الشوكاني، **فتح القدير**، ج3، ص473.

4- وقال تعالى في شأن قضية المباشرة:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " سورة البقرة، الآية:222، واختلف العلماء في فهم هذا النص بناءا على أسلوب الحذف إلى مذهبين:

المذهب الأول: أن النص قد جاء على خلاف الأصل وفيه حذف، و التقدير: ولا تقربوهن حتى يطهرن(ويَطْهُرْنَ) فإذا(طهرن و)تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله، وبناء على هذا الفهم فإنه لا يجوز وطء الحائض إلا بعد الطهر من الدم، والتطهر بالماء معا، وهذا مذهب جمهور العلماء.

ودليلهم على ذلك:

1- الآية التي نتحدث عنها فالله عزوجل علق في هذه الآية الحكم على شرطين:

الأول: انقطاع الدم وهو قوله تعالى:(حَتَّى يَطْهُرْنَ)، أي ينقطع الدم.

والثاني: الاغتسال بالماء، وهو قوله تعالى(فَإِذَا تَطَهَّرْنَ)، أي اغتسلن فصار المجموع هو الغاية.

2- قراءة التثقيل، وهي(حَتَّى يَطْهُرْنَ)،فيها مزيد بيان زيادة أحكام.

المذهب الثاني: أن هذا النص قد جاء على الأصل، وليس فيه حذف وعلى هذا فإنه يجوز وطء الحائض بعد الطهر وقبل الغسل، وهذا هو مذهب أبي حنيفة.

ودليله على ذلك:

حمل قوله تعالى:(وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ)، على انقطاع دم الحيض، وقوله تعالى (فَإِذَا تَطَهَّرْنَ)، على نفس المعنى السابق، بناء على أن المشدد قد استعمل بمعنى المخفف.

وقد ناقش الجمهور ذلك، وبينوا أن حمل (التطهّر) على انقطاع دم الحيض فيه ضعف ويدل على ذلك استعمال اللغة، وما ذكر بعد ذلك في النص(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [1].

5- وفي الظهار يقول الله تعالى:" وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (3) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (4)" سورة المجادلة، الآيات:3-4.فهذا النص وقع فيه حذف في عدة مواضع، والتقدير ثم يعودون لما قالوا ف(كفارته أو على العائد، أو على كل واحد منهم) تحرير رقبة، فمن لم يجد (الرقبة) فصيام شهرين متتابعين، فمن لم يستطع (الصيام) فإطعام ستين مسكينا [2].

6- وفي العدة يقول الله تعالى:" وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)" سورة الطلاق، الآية:4،وهذا النص القرآني وقع فيه حذف، والتقدير: واللائي لم يحضن (فعدتهن ثلاثة أشهر كذلك) [3].

([1]) انظر: الشوكاني، **فتح القدير**،ج1،ص266.ابن العربي، **أحكام القرآن**،ج1،ص164-171. الطبري، **جامع البيان**،ج4،ص387.الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**،ج3،ص129. مصطفى شاهر، **أسلوب الحذف والذكر في القرآن الكريم**، ص136.

([2]) انظر: ابن العربي، **أحكام القرآن**، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج4،ص1838.عزالدين، **الإشارة إلى الإيجاز**،ص15. مصطفى شاهر، **أسلوب الحذف والذكر في القرآن الكريم**، ص138.

([3]) انظر: ابن عبد السلام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، **كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، دار المعرفه، 1980م،بيروت، ص16. الشوكاني، فتح القدير،ج5،ص182-183.مصطفى شاهر، **أسلوب الحذف والذكر في القرآن الكريم**، ص137.

المبحث الثالث

الفصل والوصل

أن المتتبع لمصطلح (الفصل والوصل) يجد أن هذا المصطلح وفد إلى البلاغة قادما من علم القراءات، وبعدما مر بفترة عدم استقرار على يد من سبق الجرجاني، استقر على يديه، ولكنه تشعب وتعدد على يد اللاحقين، وما تشعب منه يدور حول مضمون المصطلح الأصلي، مصطلح (الفصل والوصل)، والفصل: هو قطع معنى عن معنى بأداة لغرض بلاغي.

أما الوصل: فهو ربط معنى بمعنى بأداة لغرض بلاغي. [1].ويهدف فن الفصل والوصل إلى"إبراز جمال المعنى لتحقيق كمال الفائدة" وقد اتخذ لذلك وسائل منها: الإيضاح والإيجاز وتثبيت المعنى وحسن النسق، ثم هو يسعى إلى إضفاء جمال التركيب في الصياغة بأن يتقطع الموضوع الواحد إلى أجزاء موصولة، أو يعرض الموضوع الواحد بأشكال متعددة أو يصور الهيئة المنفصلة أو الهيئة المتصلة أو عرض على تناسب الإتباع الصوتي مع الإيقاع الدلالي[2].ومن الأمثلة على الفصل والوصل في الخطاب القرآني للمرأة:

أولا: الجملة الاعتراضية: وتفصل بين الجمل للتنزيه– كما يقول الزركشي– في قول الله تعالى:" وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (57)" سورة النحل، الآية:57،فاعتراضه سبحانه بغرض التنزيه والتعظيم، وفيه الشناعة على من جعل البنات لله، ومنها كون الثاني بيانا لأول، كقوله تعلى:" إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" سورة البقرة،الآية222، فإنه اعتراض

(1) انظر: منير سلطان، **الفصل والوصل في القرآن الكريم**، دار المعارف، 1983،ص211.

(2) المرجع نفسه، ص211.

وقع بين قوله (فأتوهن) وبين قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم) وهما متصلان معنى لأن الثاني بيان للأول، كأنه قيل: فأتوهن من حيث يحصل منه الحرث، وفيه اعتراض بأكثر من جملة [1].

ثانيا: الاستثناء المنقطع:أشار إليه الطبري والزمخشري وعنه يقول المالقى" أعلم أن (إلا)حرف معناه الاستثناء ولفظه موضوع لذلك، وهي تنقسم إلى قسمين، قسم يخرج بعض الشيء من كله وهو الذي يسمى الاستثناء المتصل، وقسم بمعنى (لكن) ويسمى ما يكون له كذلك الاستثناء المنفصل، والاستثناء المنقطع، وضرب الزركشي أمثلة له منها قوله تعالى:"لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ " سورة الغاشية، الآيات:22–23،وقوله تعالى:"قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا " سورة الفرقان، الآية:57، وقوله تعالى:" فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لمَاَّ آمَنَوُا كشَفَناَ عنَهْمُ عذاَبَ الخْزيِْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" سورة يونس، الآية98. [2].

ثالثا: التوكيد:وهنا يأتي بيان صفة الزوجة الخيرة، صفة كل زوجة من زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، فلأنهن زوجات للرسول فكل واحدة منهن مسلمة ومؤمنة قانتة تأبة عابدة سائحة كل واحدة جمعة كل هذه الصفات في حال كونها زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، وإن وقع الطلاق تفرقت الصفات واحتاجت إلى عرضها بالتفصيل، وقد كان يكفي فيها صفة واحدة وهي (زوجة الرسول) يقول الله تعالى:" عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا" سورة التحريم، الآية:5، صور متعددة، أشكال مختلفة، وكلها بدائل ل (زوجة الرسول) صلى الله عليه وسلم. [3].

([1]) انظر: الزركشي، **البرهان**، ج3، ص56. منير سلطان، **الفصل والوصل في القرآن الكريم**، ص211.

([2]) االمصدر نفسه، ج3، ص182.

([3]) منير سلطان، **الفصل والوصل في القرآن الكريم**،ص208.

المبحث الرابع

التعريف والتنكير

وهنا تناولت الموضع الذي ورد فيه تعريف وتنكير في خطاب المرأة في القرآن الكريم، إلا وهو تنكير الرزق في قصة مريم عليها السلام:

تنكير الرزق في قوله تعالى " وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا"ورد لفظ الرزق في قوله تعالى واصفا كرامة مريم "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا" بصورة التنكير، فلم تفصح الآيات عن كنهه أو نوعه أو كميته، ولكن المفسرين حاولوا أن يبينوا هذا الرزق، وينيبوا ذلك إلى خوارق العادات، فالأمام الطبري يقول:" فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف " [1].

وذهب الفخر الرازي إلى أن تنكير ذلك الرزق يدل على تعظيم حال ذلك الرزق،فقال: " إن التنكير في قوله " وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا" يدل على تعظيم حال ذلك الرزق، كأنه قيل: رزقا، أي رزق غريب عجيب، وذلك إنما الغرض اللائق لسياق هذه الآية لو كان خارقا للعادة"[2].

ويرى الفخر الرازي أن قوله تعالى:" وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ " دليل على أنه ظهر عليها من الخوارق ما يثبت صحة ذلك. [3]

ويسوق الفخر الرازي مسائل عدة يثبت من خلالها أن ذلك الرزق كان خارقا، وذلك لعلو شأن مريم وشرف درجتها.

وعلى محمل المجاز أورد صاحب البحر المحيط وجها فريدا لتأويل الرزق بأنه فيض كان يأتيها من الله من العلم والحكمة من غير تعليم آدمي فسماه رزقا [1].

([1]) الطبري، **جامع البيان**، ج6، ص358.

([2]) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8، ص 32–33.

([3]) االمصدر نفسه، ج8 ص33.

وقال الألوسي موضحا كنه هذا الرزق:" من ثمار الجنة والذي عليه الجدل أن ذلك عوض لها عن الرضاعة، فقد روي أنها لم ترضع ثديا قط [2].

وقد انتقد صاحب المنار في العصر الحديث مثل هذا التفسير، فقال:" وأنت ترى أنه لا دليل في الآية على أن الرزق كان من خوارق العادات، والبحث عن ذلك الرزق ما هو ؟ ومن أين جاء ؟ فضول لا يحتاج إليه لفهم المعنى،ولا لمزيد العبرة، ولو علم الله أن في بيانه خيرا لنا لبينه " [3].

وينبغي بعد ذلك القول بأن الرزق كرامة خص الله بها مريم، وليست أمرا خارقا لأجل زكريا، أو إرهاصا بمقدم عيسى، وقد أكد صاحب البحر المحيط على هذا المعنى، فقال:"والظاهر أنها كرامة خص الله بها مريم، ولو كان لأجل زكريا لم يسأل عنه زكريا، وأما كون ذلك لأجل نبوة عيسى فهو كان لم يخلق بعد "[4].

([1]) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج2، ص461.

([2]) الألوسي، **روح المعاني**، ج2،ص461 .

([3]) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**،ج3،ص293.

([4]) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**،ج2،ص462. وأنظر: غدير الشمايلة، **خطاب المرأة في القرآن دراسة بلاغية**، ص 50.

الفصل الرابع

المستوى التصويري

المبحث الأول: التشبيه.

المبحث الثاني: المجاز العقلي.

المبحث الثالث: الاستعارة.

المبحث الرابع: الكناية.

الفصل الرابع

المستوى التصويري

تمهيد:

بداية لابد من بيان الفرق بين الصورة والأسلوب، فالأسلوب هو طريقة التفكير ومذاهب التعبير أو الصورة الكلامية التي يتمثل فيها تفكير الأديب.وتفسيره،ولكن الأسلوب ليس مقصورا على الأديب،اذ للعالم أسلوبه.ويختلف الأسلوب بين الأديب والعالم وبين الأديب وأديب آخر،كما يختلف أسلوب الأديب الواحد بين وقت لأخر باختلاف الموضوع الذي يتناوله وقبل أن يكتمل الأسلوب في صورته المكتوبة أوالمنطوقة يكون في صورة ذهنية تمتلئ بها النفس وتطبع الذوق ؛ أما الصورة فهي القالب اللفظي الذي توضع فيه المعاني [1].

ويمكن أن يعرف الأسلوب باعتبار الخطاب بأنه العلاقة المميزة لنوعية مظهر الكلام داخل حدود الخطاب ، و تلك السمة إنما هي شبكة تقاطع الدوال بالمدلولات و مجموع علائق بعضها ببعض و من ذلك كله تتكون البنية النوعية للنص و هي ذاتها أسلوبه " (2) ، و يقترب من هذا التصوّر ما يراه هيل من أن الأسلوب هو " الرسالة التي تحملها العلاقات الموجودة بين العناصر اللغوية لا في مستوى الجملة و إنما في مستوى إطار أوسع منها كالنص أو الكلام " (3).

يقول ابن خلدون " إن الأسلوب لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التركيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ؛ وإنما إلى صورة ذهنية للتراكيب ؛ وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها، ويصيرها في الخيال كالقالب والمنوال، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب

---

(1) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ط11، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1428ه – 2007م، ص 69 – 70 .

(2) عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب . ص86 .

(3) المرجع نفسه . ص87 .~

باعتبار الأعراب والبيان، فيرصها فيه رصا، كما يفعل البناء في القالب، والنساج في المنوال، حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه، فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به، وتوجد في أنحا مختلفة " [1].

ثم إن اللغة بأصواتها وألفاظها وتراكيبها، وما تحويه من خيال وموسيقى، تعمل على نقل المعنى الذهني إلى واقع يشاهده المتلقي ويعيش معه بمشاعره وأحاسيسه، ثم يتفاعل معه، ويخضع لتأثيراته.

قال الجاحظ:" إذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا، وكان صحيح الطبع، بعيدا عن الاستكراه، ومنزها عن الاختلال، مصونا عن التكلف، صنع في القلب صنع التربة الكريمة"[2].

ولعل اعتماد المبدع على التصوير كأداة أساسية في التأليف يسهم في تحيق المعنى؛ذلك أن التصوير" طريقة لإيصال المعنى بتعبير خاص يؤثر في ذهن المتلقي، فيحدث عنده نوعا من المتعة العقلية، نتيجة التحليق بخياله للوصول إلى المعنى المراد من قبل المبدع، فالصورة طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجهة الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أيا كانت هذه الخصوصية أو ذلك التأثير، فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته، إنها لا تغير إلا من طريقة عرضه وكيفية تقديمه[3].

---

(1) ابن خلدون . **المقدمة**. دار إحياء التراث العربي . بيروت .1408هـ . ص 570.

(2) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، د.ط، دار الفكر، القاهرة، 1985م، ج1، ص157-158.

(3)جابر عصفور، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، د.ط، دار الثقافة، القاهرة، 1974م، ص323.

ومن هنا تبرز أهمية التصوير الفني في الدراسة الأسلوبية التي تعني بدراسة كيفية ما يقال، لا بما يقال: وتنزع إلى تحديد مواطن الجمال من خلال رؤية شمولية لأسلوب الصياغة، في النص الأدبي[1].

أشار الجرجاني إلى فضيلة التصوير بقوله:" ومعلوم أن سبل التصوير والصياغة، وأن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار" [2].

وتجدر الإشارة إلى أن الاستغناء عن جوهر الصورة، والاكتفاء بالوقوف على الجانب الشكلي، كما فعل القدماء، يقضي على الطاقات الإبداعية للصورة، ويجعلها جامدة، بدل أن يكسبها عنصر الحياة التي تبدو من خلاله مشرقة ساحرة[3].

يقول البطل:" إذا كان المفهوم القديم قد قصر الصورة على التشبيه والاستعارة،فإن المفهوم الجديد يوسع من إطارها، فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح، بل تخلو الصورة، بالمعنى الحديث، من المجاز أصلا، فتكون عبارات حقيقة الاستعمال، ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة على خيال خصب"[4].

تعتمد الصورة على الخيال باعتباره مصدرا رئيسا من مصادرها، فهو السبيل إلى إحالة التشبيه أو المجاز أو الكناية أو المعنى أو اللفظ الحقيقي إلى صورة ذات أثر يتفاعل معها المتلقي،

---

[1] انظر: محمد عبد المطلب،**البلاغة والأسلوبية**، ص176. عبد الجليل عبد القادر، **الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية**،ط1، دار صفاء، عمان، 2002م، ص134. عودة خليل، **المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي**، مجلة النجاح،للأبحاث، مجلد2، ع8، 1994، ص 100-101.

[2]عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص254.

[3] انظر: محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، ط7، نهضة مصر، القاهرة، 1996م،ص258.

[4] علي البطل،**الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطوراتها**، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983م، ص25.

ويعيش في ظلالها الوارفة، فالخيال إذن أساس الصورة الأدبية مهما تكن درجته الفنية [1]، والصورة كذلك " هي أداة الخيال ووسيلته ومادته المهمة التي يمارس فيها ومن خلالها فاعليته ونشاطه" [2]، ولا بد لهذه الصورة حتى تكتمل حلقاتها في ذهن المتلقي من صياغة محكمة وموسيقا عذبة، واختيار موفق للألفاظ، وتعاقب سهل للحروف.

وعندئذ تكتمل حلقات هذه الصورة، وتضع الريشة المبدعة لمساتها الأخيرة لتبدو لنا الصورة على أتم وجهها، فيكتب لها الدوام والبقاء، ولعل هذا ما يسمى" بوحدة الرسم" [3].

ولا يقصد بالخيال البعد عن الواقع أو مجانبة الصواب، وحاشا لهذا النوع من الخيال أن يكون في كتاب الله تعالى، وإنما نقصد بالخيال ذلك الذي يعطي فسحة للقارئ للتدبر والتفكر، فالقارئ لا يملك القدرة على الإحاطة بكنه القرآن وسره وعظمته، لطبيعة القصور التي أودعها الله فيه، ولذا نجد القرآن يعمد إلى التشبيه والتصوير والتخييل، ليكون المعنى سهل المأخذ، لطيف المسلك لدى جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وعلومهم وثقافاتهم، وهذا سر من أسرار القرآن وميزة من مزاياه التي أظهرته على كل الكتب وألوان البيان.

والقرآن واحة مليئة بالصور والأخيلة الصادقة والمعبرة، والتصوير فيه ظاهرة حية متجددة، يقول سيد قطب:" التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحلة النفسية، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة [4].

---

[1] انظر: أحمد الشايب،**أصول النقد الأدبي**، ط2، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د.ت، ص220-222.

[2] جابر عصفور،**الصورة الفنية**، ص19.

[3]سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**، ط.5، دار الشروق، بيروت، 1979م،ص96.

[4] االمصدر نفسه، ص34.

ولعل هذا ما جعل للصورة الفنية أهمية في الدراسات الأسلوبية الحديثة، ذلك أنها " طريقة في الكلام أكثر حيوية من الكلام العادي، ومقدرة إما لجعل الفكرة أكثر حساسية بوساطة صورة من الصور، أو مقارنة من المقارنات، وإما لإثارة أكثر بما لها من استقامة أو فرادة[1].

وتجدر الإشارة إلى أن لغة الخطاب من خلال التصوير تهدف إلى تحقيق أهداف دينية تسهم في بناء الفرد والمجتمع على أسس واضحة ومعالم بارزة، لكن توخي هذه الأغراض لا يقلل من روعة الجمال الفني لهذه الصورة او تلك، بل يزيد من عمقها وأثرها، إذ يؤتي بالصورة وهي تعج بالجمال والجلال،" أما الجمال ففي العرض، وقوة الأداء، وإيقاع العبارة، وإيحاء الإشارة، على نحو لا شبيه له ولا مثيل،. وأما الجلال فلو أن الجبال الرواسي قرعت بشيء لتسير من أماكنها، أو الأرض الصلبة صدعت بشيء حتى تغيرت معالمها، أو أن الموتى في قبورهم خوطبوا بشيء فقاموا من مضاجعهم، لكان هذا الشيء هو القرآن الكريم" [2].

والحديث هنا في الجانب التصويري في عدة أمور بيانها على النحو الآتي:

المبحث الأول

التشبيه

مفهوم التشبيه: هو" الدلالة على مشاركة أمر، لآخر في معنى" [3].أو" صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان أياه".[1].

---

(1) جيرو، بيير، **الأسلوبية**، ص25.

(2) عبد التواب صلاح الدين، **الصورة الأدبية في القرآن الكريم**، ط1، الشركة المصرية العالمية، مصر، 1998م، ص4.

(3) جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط4، 1395هـ،1975م، ج2، ص328.

وهذه المشاركة أو المقاربة تعتمد طرفين يتم بوساطتهما تحقيق فكرة الالتقاء والتقارب؛ وهذان الطرفان هما المشبه والمشبه به، وهما الركنان الأ ساسيان.

والواسطة التي تحقق التقارب بين طرفين مختلفين في عملية التشبيه هي الأداة، التي قد تذكر أو تحذف، ولكنها تظل موجودة، أما على مستوى شكل التشبيه، أو على مستوى المفهوم العام؛ وفي كلتا الحالتين لا تغير من طبيعة الركنين اللذين يشكلان محور عملية التشبيه، فالتشبيه يقوم على تناسب ظاهري بين أشياء مختلفة في عالم الحس أو العقل، دون أن يؤثر التشبيه على جوهر هذه الأشياء أو يغير من طبيعتها، عملية التشبيه؛ إذ لا تتحقق بدونها الفكرة التي يقوم عليها التشبيه، ولا يخفى عليك أن التشبيه مستدع الطرفين، مشبها ومشبها به، واشتراكا بينهما من وجه وافترقا من آخر [2].

يقول السيد شفيع أن أداة التشبيه ليست عنصراً أساسيا في أسلوب التشبيه، كما هو الحال في المشبه والمشبه به، وإنما قد تذكر في الكلام، ومنه قوله تعالى: " **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ** " (سورة البقرة، الآية 17) فكل ما أشتق من المماثلة، أو أدى معناها، كالمشابهة، والمضاهاة، والمحاكاة يعد من أدوات التشبيه سواء جاء بصيغة الاسم أول بصيغة الفعل ؛ وقد يأتي الكلام بدونها مع تحقق صورة التشبيه، وأمثلة ذلك أكثر من أن تحصى كقولنا: التضامن العربي صخرة تتحطم عليها أحلام العدو، فهذا الميثال يخلو من أداة التشبيه [3].

---

[1] ابن رشيق القيرواني، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م، ج1،ص199.

[2] السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص332.

[3] سيد شفيع، **التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية**، ط.4، دار الفكر العربي، القاهرة، ص38- 39.

دلالة التشبيه " وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى " سورة آل عمران،الآية: 36،قد يتبادر إلى الذهن أن الآية الكريمة "وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى "تعني تعصبا وانحيازا للذكور عند هذه المرأة، وأن الآية تصلح أن تكون القول الفصل بين الذكور والإناث، وحقيقة الأمر أن إنعام النظر في أبعاد هذه الآية يكشف عن لمحات بلاغية لابد من تجليتها، وهي:

يرى بعض المفسرين أن التشبيه في هذه الآية قد جاء مقلوبا، من ذلك قول صاحب البحر المحيط:"بدأت بذكر الأهم في نفسها، وإلا فسياق الكلام أن تقول: وليست الأنثى كالذكر، فتضع حرف النفي مع الشيء الذي عندها،وانتفت عنه صفات الكمال للغرض المراد[1]. هو بذلك يشير إلى أساليب العربية التي تبدأ بذكر المشبه به،عند رسم الصور الفنية، كقولنا:علي كالأسد؛ لأن الشجاعة في الأسد أصل وفي الإنسان فرع،وكقولنا: وجهك مضئ كالقمر ؛ لأن الإضاءة في القمر أصل وفي وجه الإنسان فرع.

وأبو حيان قد اعتبر بدء الخطاب بذكر الذكر وتأخير الأنثى؛ إنما هو قلب وخروج على المقتضى اللغوي، إذ ينبغي أن يبدا الخطاب بذكر الأنثى على اعتبارها في نظره أقل كمالا من الذكر في ذلك الموقف.وقبل مناقشة هذا الرأي، ينبغي العودة إلبلاغين وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني لتبين ما قالوه في قضية التشبيه وقلبه؛ إذ يذهب إلى أنه ينبغي " أن يكون بين الشيئين تفاوت شديد في الوصف الذي لأجله يشبه، ثم قصدت أن تلحق الناقص منهما بالزائد مبالغة ودلالة على أنه يفضل أمثاله فيه [2].ويضرب مثالا على ذلك تشبيه الحبر بالليل، ومن ذلك قول ابن الرومي:

([1]) أبو حيان، **البحر المحيط**،ج2،ص457. محمد بركات أبو علي، الإيجاز في علم المجاز،ط .1، دار الفكر، بيروت، ص 178 .

([2]) عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية، ص192.

جِبْــرُ أَبِـــي حَفْـــصٍ لُعَـــابُ الليـــلِ يَسِيلُ لـلإِخْوَانِ أيُّ سَيلٍ [1]

ويعيب عبد القاهر على البحتري قوله:

عَلـــى بـــابِ قِنَّـــسرينَ وَاللَيـــلُ لاطـــخٌ جَوانِبَهُ مِن ظَلمَةٍ بِمِدادِ [2]

فقد شبه البحتري الليل بالمداد الأسود،وكان حريا أن يشبه المداد الأسود بالليل، يقول: " ذلك أن المداد الأسود ليس من الأشياء التي لا مزيد عليها في السواد"[3].

ويشرح عبد القاهر الفرق بين هذا التشبيه، وتشبيه ابن المعتز:

وكـــأن الـــشَّمسَ المُنيـــرةَ دُينـــا رَجلتهُ حَدائقَ الضِّرابِ [4]

ويسمى هذا الأخير تشبيها مقلوبا؛ لأن النور في الشمس أوضح، ويعلل ذلك بأن النور، وإن كان في الشمس أوضح، إلا أن الشاعر قد يقصد "على عادة التخييل أن يوهم في الشيء وهو قاصر عن نظيرهِ في الصفة أنه زائد عليه في استحقاقها، واستيجاب أن يجعل أصلا فيها، فيصح على موجب دعواه وشوقه أن يجعل الفرع أصلا، وإن كنا إذا رجعنا إلى التحقيق لم نجد الأمر يستقيم على ظاهر ما يضع اللفظ عليه "[5].

والعبارة الأخيرة تشير إلى أن مقتضى الظاهر في الترتيب البلاغي أن نبدأ بذكر الفرع قبل الأصل، إلا إذا قصدنا المبالغة والإبهام بأن الفرع كالأصل في قوة الصفة، ولذلك يسمى هذا النوع من التشبيه مقلوبا.

([1]) البيت غير موجود في شعر ابن الرومي، غير أن القزويني قد ذكره ضمن شواهده، انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، ص224.

([2]) البحتري، **ديوان البحتري**، شرح حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م، ص293.

([3]) الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص192.

([4]) المصدر نفسه، 193. وأنظر: غدير الشمايلة، خطاب المرأة في القرآن دراسة بلاغية، ص33.

([5]) المصدر نفسه، ص 194.

السؤال الذي ينشأ هنا: هل قلبت امرأة عمران ركني التشبيه في قولها " وليس الذكر كالأنثى"؟

وأرى أن ليس في ترتيبها هذا أي قلب، وإنما بدأت بذكر الادنى على عادة مذاهب الأدب،ليس تبخيسا منها لشأن الذكور، ولكن رفعا منها لشأن هذه الأنثى التي أدركت بغريزتها أنها من اختيار الله لحكمة لم تعرفها، فقدمت تأدبا مع الله اختيارها القاصر الذي تمنته جهلا وهو الذكر على الأنثى التي هي اختيار الله والأصلح لولادة عيسى فيما بعد على عادة العربية في تقديم الأدنى على الأعلى. [1]

وقد تنبه لهذا الأمر المفسر عبد الكريم الخطيب، فقال: "أي أن الذكر الذي كانت تتمناه امرأة عمران وترجوه لا يتحقق به هذا الأمر العظيم، الذي جعل الله إظهاره على يد هذه الأنثى التي ستلد مولود البشرية البكر عيسى عليه السلام، فهل لو ولدت امرأة عمران ذكرا أكان لهذا الذكر أن يلد عيسى على الأسلوب الذي ولد به؟ ولهذا جاء أسلوب التشبيه على وجه عجيب، وليس الذكر كالأنثى" [2].

كما ينبغي ورود اللام المقترنة بكل من الذكر و الأنثى في هذه الآية الكريمة فهما صحيحا؛ فهذه اللام هي لام العهد وليس لام الجنس، ومعنى ذلك أن ثمة ذكر معين كانت ترجوه خاطئة لذلك المقام،وأن ثمة أنثى معينة قد اختيرت إليها لذلك المقام، وهذا أمر مهم؛ لأن إطلاق اسم لام الجنس على هذين اللامين يعني أنها قد أطلقت حكما عاما بأن جنس الذكور يفضل جنس الإناث وهذا غير صحيح، وقد أشار صاحب البحر المحيط إلى هذا المعنى في محاولة ثانية منه

([1]) غدير الشمايله، **خطاب المرأة في القران دراسة بلاغية**، ص 34.

([2]) عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**،ج3،ص436.

لفهم الآية، فقال:" واللام في الذكر للعهد فيكون مقصودها ترجيح هذه الأنثى التي هي موهوبة الله على ما كان قد رجت أن يكون ذكرا"[1].

ويجتهد الفخر الرازي في محاولة فهم هذه المفاضلة فيقول في أحد الوجوه التي أوردها:"إن مرادها تفضيل الولد الذكر على الأنثى، وسبب هذا التفضيل من وجوه:

الأول: أنه في شرعهم لا يجوز تحرير الذكور دون الإناث.

الثاني: أن الذكر يصح أن يستمر على خدمة موضع العبادة، ولا يصح ذلك في الأنثى لمكان الحيض وسائر عوارض النسوان.

الثالث: الذكر يصلح لقوته وشدته للخدمة دون الأنثى فإنها ضعيفة لا تقوى على الخدمة.

الرابع: أن الذكر لا يلحقه عيب في الخدمة، والاختلاط بالناس وليس كذلك الأنثى.

الخامس: أن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى، فهذه الوجوه تقتضي فضل الذكر على الأنثى في هذا المعنى [2].

ويرد على هذا بأن الله تعالى قد تقبل هذه الأنثى لخدمة بيته مثل الذكور، وصرح بذلك بقوله تعالى "فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ "سورة آل عمران، الآية:37.

كما أن الخدمة داخل المسجد لا تتطلب شدة وقوة، فقد ذكر البخاري أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أي تكنسه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

([1]) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج2،ص457.

([2]) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج8،ص28-29.

([3]) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**،كتاب الصلاة، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار التقوى، مكتبة العلم، القاهرة، 2000م، ج1، ص671.

وأما قوله بأن الأنثى يعتريها من الحيض وسائر عوارض النسوان ما يحول بينها وبين الخدمة، فإن هذه العوارض لا تلازمها دائما، ويمر بها من الأوقات ما يمكنه من القيام بهذه الخدمة، تماما كما تصيب الرجل حالات تمنعه من دخول المسجد كالجنابة.

والمتأمل في لغة القرآن يجد بأنه أعرض عن جمع نسوة على (نسوان) وعمد إلى لفظ (نسوة) لرقيه؛ ولأن لفظ نسوان أقرب إلى العوام، بل إلى لغة الأسواق.

وأما قوله بأن الذكر لا يلحقه من التهمة عند الاختلاط ما يلحق الأنثى، فهو قول مرده الأعراف وليس الشريعة، لأن ما يلحق الأنثى، يلحق الذكر عندما ينحرف خلق الإنسان عند الاختلاط.

المبحث الثاني

المجاز العقلي

أولا:المجاز في اللغة:

المجاز لغة: مأخوذ من جاز، يجوز، جوزا، وجوازا، يقال جاز المكان، إذا سار فيه، وأجازه: قطعه، يقال جاز البحر: إذا سلكه وسار فيه، حتى قطعه، وتعداه. ويقال: أجاز الشئ: أي أنفذه، ومنه إجازة العقد: إذا جعل جائزا، نافذا ماضيا على الصحة.

وجاوزت الشئ وتجاوزته: تعديته، وتجاوزت عن المسئ: عفوت عنه وصفحت[1].

قال ابن فارس: "(جوز) الجيم والواو والزاء أصلان، أحدهما: قطع الشئ، والآخر: وسط الشئ، فأما الوسط: فجوز كل شئ وسطه... والأصل الآخر: جزت الموضع: سرت فيه، وأجزته: خلفته، وقطعته، وأجزته:نفذته.."[1].

---

(1) انظر: احمد بن محمد الفيومي، **المصباح**،ج1، ص114 . الجوهري، **الصحاح**، ج3، ص870 . الفيروز آبادي، **القاموس**،ج2، ص170.

ثانيا:المجاز في الاصطلاح:

تعددت عبارات الأصوليين في تعريف المجاز، وأهما مايلي:

عرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله:" كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع أوضعها لملاحظة بين الثاني والأول، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى مالم توضع له، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع أوضعها [2].

وقسم المجاز إلى لغوي وعقلي، واللغوي إلى الاستعارة والمجاز المرسل.

وعرف أيضا:

أن المجاز: "ما كان بضد معنى الحقيقة".

ومنها: "أنه اللفظ المستعمل في غير ما وضع له"[3].

ومن الأصوليين من زاد على هذا الحد قيدا، وهو قولهم "في غير ما وضع له أولا"، ومنهم من زاد "على وجه يصح" وهو تعريف صاحب الروضة، وبعضهم زاد "في غير ما وضع له، لعلاقة مع قرينة"[4].

ومنهم من عبر بقوله: "قول مستعمل بوضع ثان لعلاقة".

وعرفه بعضهم بأنه: "كل اسم أفاد معنى على غير ما وضع له"(5).

---

(1) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج1، ص494.

[2] الجرجاني، **أسرار البلاغة**،ص 251سميراستيتيه، **النبابة و المجاز في القرآن الكريم**، د.ط، د.ن، 2007م، ص 178.

(3) البصري، أبو حسين محمد بن علي. **المعتمد**، د.ط، المعهد العلمي الفرنسية للدراسات العربية، دمشق، 1964،ج1، ص11.

(4) انظر: ، شمس الدين محمد بن أحمدالمحلي، **حاشية البناني**، د.ط، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة، ج1، ص300.

(5) وهو تعريف أبي الخطاب صاحب التمهيد كما في 77/1 منه .

وذكروا في تعريفه "أنه كل اسم غير ما وقع عليه الاصطلاح على ما وضع له حين التخاطب"[1].

ومن خلال عرض هذه التعريفات يترجح لدي أن تعريف صاحب الروضة أرجحها لأنه جامع مانع وهذا واضح لمن تأمله بخلاف غيره فلم يسلم من المناقشات[2].

ثالثا: صور المجاز العقلي: إذا أسند الفعل إلى من لم يفعله ظاهرا، مثل: مات فلان، فمعلوم أن فلان لم يفعل الموت، وإنما فعل به الموت، وهذا ما يسمى المجاز العقلي، وكذا: أنبت الماء الشجرة، فالواقع أن الله تعالى هو الذي أنبتها.

ومن صور المجاز العقلي، قوله تعالى:"فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا **(34)**" سورة النساء، الآية 34، أي حافظات أزواجهن عند غيبتهم، فقد علق الغيب بالحفظ على سبيل المجاز العقلي، لأنه وقته، والغيب مصدر غاب ضد حضر، والمقصود غيبة أزواجهن.

وفي قوله تعالى:" وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا **(35)**" سورة النساء الآية:35، فقد ذكر تعالى ما يدل على أنه هو الذي يفعل الإصلاح بين الزوجين، فبين أنه يوفق بينهما إذا أراده الحكمان؛ فالمقصود بقوله:" يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا" أنه تعالى عند إرادتهما الإصلاح يفعل من الألطاف ما يدعو

---

(1) عبد العلي محمد بن نظام الدين، **فواتح الرحموت**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ج1، ص203 . **المعتمد** للبصري،ج1، ص11. القرافي، أبو العباس أحمد بن إدريس ، **شرح تنقيح الفصول**،ط.1، دار الفكر، بيروت، 1973م،، ص44.

(2) انظر: **المعتمد**، ج1، ص11-14 . الآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي، **الإحكام**، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968م، ج1،ص29 .

قبولها[1]، فإسناد التوفيق إلى الله تعالى ليس من قبيل الحقيقة، وإنما أسند إليه؛ لأنه سببه فقط، ولهذه العلاقة صح إسناد التوفيق إليه

المبحث الثالث

الاستعارة

عرف عبد القاهر الجرجاني(ت 47هـ) الاستعارة، بقوله:" هي أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم فيكون هناك كالعارية" [2].

وقد علق محمد أبو موسى على تعريف الجرجاني بقوله: (ثم وضع الاستعارة في موضعها الذي استقرت عليه حين قال في أخر كتاب أسرار البلاغة، قصدي من هذا الفصل أن أبين أن المجاز أعم من الاستعارة، وأن الصحيح من القضية في ذلك أن كل استعارة مجاز وليس كل مجاز استعارة، وذلك أنا نرى العارفين بهذا الشأن أعني علم الخطابة ونقد الشعر، واللذين وضعوا الكتب في أقسام البديع يجري على أن الاستعارة نقل الاسم عن أصله إلى غيره للتشبيه على المبالغة) [3]، وهذا هو التعريف الذي شاع في كتب المتأخرين حين قالوا أن الاستعارة هي استعمال الكلمة في غير ما وضعت له لعلاقة المشابهة [4].

---

(1) القاضي عبد الجبار، **متشابه القرآن**، تحقيق: عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة، 1969م،ص 183.

(2) عبد القاهر الجرجاني، **أسرار اللاغة**، تحقيق: ميسر عقاد ومصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2007م، ص29.

(3) محمد أبو موسى، **التصوير البياني**، ط.2،مكتبة وهبة، القاهرة، 1980م، ص181. عبد القاهر الجرجاني، **أسرار اللاغة**، ص29 .

(4) محمد أبو موسى، **التصوير البياني**، ط.2،مكتبة وهبة، القاهرة، 1980م، ص183 .

فالمسألة في حقيقتها نوع من الإدراك للأشياء تتحول فيه عن طبائعها المألوفة وتأخذ صورا جديدة ؛ فالاستعارة أذن تشكل الأشياء، تشكيلا آخر وتمحو طبائعها وتعطيها صفات، وأحوالا أخرى يفرغها الشاعر والأديب عليها وفقا لحسه وضروب انفعالاته وتصوراته (1).

ومن صور الاستعارة في آيات مخاطبة النساء قوله تعالى:" وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ **(8)**"**سورة القصص، الآيات 7:-8**، فاللام في (ليكون) هي لام –كي– التي معناها التعليل، ولكن التعليل فيها وارد عن طريق المجاز دون الحقيقة، لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن لهم عدوا، ولكن المحبة والتبني نتيجة التقاطهم له وثمرته، شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله، فاستعيرت اللام لمايشبه التعليل (2).

وفي قوله تعالى:" إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ **(45)**" سورة آل عمران الآية:45، فقد أطلق اسم السبب على المسبب، وذلك في قوله تعالى:" بِكَلِمَةٍ مِنْهُ" على الخلاف الذي يفسر (كلمة).

وفي قوله تعالى:" وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥)" سورة النساء، الآية: 15.

فقد أطلق على الزنا اسم الفاحشة، على الإطلاق لزيادتها في القبح على كثير من القبائح.

---

(1) محمد أبو موسى، **التصوير البياني**، ط.2،مكتبة وهبة، القاهرة، 1980م، ص181. عبد القاهر الجرجاني، **أسرار اللاغة**، ص29 .

(2) اُنظر: سعد الدين التفتازاني: **مختصر العد_ شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم_**، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م، ج4، ص 120–124.

لعل من أوضح الملاحظ في هذه النقلة، تباين الفعل عن المصدر في قول الله تعالى:" فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ "سورة آل عمرآن،الآية:37. وكان مقتضى القول: فتقبلها ربها بتقبل حسن.

وكذا القول في:" وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا" سورة آل عمرآن،الآية:37.

إذ عدل عن القول:إنباتا حسنا.

وقد حاول البلاغيون تعليل هذا التباين ؛ فذهب الفخر الرازي إلى أنه إنما قال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ آل عمران: ٣٧.

ولم يقل فتقبلها ربها بتقبل، لأن القول والتقبل متقاربان، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ﴾ نوح: ١٧، أي إنباتا، والقبول مصدر قولهم: قبل فلان الشيء قبولا، إذا رضيه[1].

وأورد سيبويه في (الكتاب) خمسة مصادر جاءت على وزن (فعول) هي: وضوء،ولوع،وقود، طهور، قبول [2].

وأجاز الزجاج (قبولا بالضم) فقال:" قبلت الشيء قبولا حسنا (ويجوز قبولا) إذا رضيته"[3].

ويرى الفخر أن للآية وجها آخر، وهو أن ما كان من باب التفعل، فإنه يدل شدة إعتناء ذلك الفاعل بإظهار ذلك الفعل، كالتصبر والتجلد ونحوهما، فإنهما يفيدان الجد في أظهار الصبر والجلادة، فكذا ههنا القبل يفيد المبالغة في إظهار القبول[4].

ويتساءل الفخر: فلم لم يقل فتقبلها ربها بتقبل حسن حتى صارت المبالغة أكمل؟

---

(1) الفخر الرازي،**مفاتيح الغيب**، ج8،ص29.

(2) سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،دار الجيل،بيروت، ط1، 1991م، ج4، ص42.

(3) الزجاج **معاني القرآن وأعرابه**، ط.1، دار الشروق، بيروت،ج1، ص401.

(4) الفخر الرازي،**مفاتيح الغيب**،ج8، ص30.

والحقيقة أن لفظ الجواب يكمن في،ألفظ التقبل وإن أفاد ما ذكر، إلا أنه يفيد نوع تكلف على خلاف الطبع، أما القبول فإنه يفيد معنى القبول على وفق الطبع، فذكر القبل ليفيد الجد والمبالغة، ثم ذكر القبول ليفيد أن ذلك ليس على خلاف الطبع، بل على وفق الطبع،وهذه الوجوه، وإن كانت ممتنعة في حق الله تعلى، إلا أنها تدل من حيث الاستعارة على حصول العناية العظيمة،في تربيتها [1].

أما الزمخشري فوضع ثلاثة احتمالات تفسر هذا التباين:

الأول: أن يكون القبول اسم من تقبل الشيء كالعطوس واللدود [2].

ويقصد بذلك أنه ليس مصدرا ؛لأى المصدر ينبغي أن يكون منصوبا على الصدر بفعل موافق له.

وجاء الاسمان سطوع ولدود على وزن فعول مثل قبول، وقد ذكر الزمخشري هذا المثل الذي تداولته كتب التفسير من بعده شاهدا على أن قبول قد تأتي اسما، ليعلل عدم اتحادها مع الفعل اشتقاقا.

الثاني: أن يكون القبول مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى: فتقبلها بذي قبول حسن، وبذلك تنفصل عن الفعل الأول.

الثالث: قد تكون (فتقبلها) على معنى (فاستقبلها) كقولك حروف زوائد، وأن تقبل تعطي معنى قبل [3].

وذكر الألوسي وجها آخر للتعليل وقال أن الباء قد تكون زائدة، وأن القبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد، قبلها قبولا حسنا [4].

([1]) االمرجع نفسه،ج8، ص30.

([2]) ما يصب بالعطس من الدواء في أحد شقي الفم، ابن منظور، لسان العرب، ج13، ص 254. مادة(سعط).

([3]) الزمخشري، **الكشاف**، ج1،ص351–352.

([4]) الألوسي، **روح المعاني**،ج2،ص133.

وذهب الزجاج إلى أن: " الأصل في العربية بتقبل حسن، ولكن قبول محمول على قوله: قبلها قبولا حسنا "[1].

والحقيقة أن القارئ لا يحتاج مثل هذه التوجيهات النحوية بقدر حاجته إلى معرفة الغاية البيانية والدلالة التي يؤديها هذا الأسلوب.

وعلى ما جاء في أقوالهم، يمكن القول: إن اعتبار كل من قبول ونبات أسماء وليست مصادر، وإنما يكون لبيان هيئة مريم عندما قبلت وترعرعت، وليس هيئة الفاعل وحسن مسلكه عندما أعطى، والثانية لبيان هيئة العطية وحسنها.

وحول الصورة الفنية التي رسمتها الآية الكريمة، يقول الزمخشري: " مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحا في جميع أحوالها "[2].

وقال الألوسي:" في الكلام استعارة تمثيلية أو مجاز مرسل بعلاقة اللزوم، فإن الزارع يتعهد زرعه بسقيه عند الاحتياج وحمايته عن الآفات، وقلع ما يخنقه من النبات "[3].

وقال صاحب تفسير المنار: " ولعله عبر عن التربية بالإنبات لبيان أن تربيتها فطرية لا شائبة فيها "[4].

وفي موضع آخر نتبين موقف النسوة اللواتي شرعن في تفسير موقف وتعليل مسلك امرأة العزيز والحكم على سلوكها، فقال الله تعالى: ﴿ **۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾** ﴾ يوسف: ٣٠.

([1]) الزجاج، **معاني القرآن**، ج1،ص401.

([2]) الزمخشري، **الكشاف**، ج1،ص352.

([3]) الألوسي، **روح المعاني**،ج2،ص134.

([4]) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ج3،ص292.

وقد تم أعلان هذا التفسير النفسي لحال امرأة العزيز ب (قد) التي تفيد التحقيق، وكأن النسوة قد وصلن على وجه الدقة إلى سر هذا المسلك، وهو انجرافها في هاوية الحب إلى أقصى الدرجات، درجة الشغف، وقد جاء في اللسان:" الشغاف غلاف القلب " ونقل عن ابن عباس قوله: " دخل حبه تحت الشغاف"[1]، ونقل صاحب البحر المحيط عن الشعبي: أن الشغف هو الجنون[2].

وقد ذهب الشريف الرضي في (تلخيص البيان) إلى أن قولهن " قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا" سورة يوسف، الآية:30. فيه استعارة والمراد بها أن حبه تغلغل إليها حتى أصاب شغافها وهو غشاء قلبها، على طريق المبالغة " [3]

(1) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شغف)

(2) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**،ج5،ص301.

(3) الشريف الرضي، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق: علي محمود مقلة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1986م، ص115.

المبحث الرابع

الكناية

يقدم الباحث قبل الحديث عن أسلوب الكناية في خطاب المرأة في القرآن الكريم نبذة بسيطة تعريفية للكناية.

يقول عبد القاهر الجرجاني(471هـ):" الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود،

فيومئ به، إليه، ويجعله دليلا عليه[1].

الذين جاءوا بعده، وليس في كتب البلاغة المتأخرة أروع من هذا التعريف، وكل ما فعله السكاكي(ت 626هـ) والقز ويني (ت739هـ) وشراح التلخيص أنهم رتبوا ما في(دلائل الإعجاز)، وقسموا الكناية إلى أقسامها الثلاثة: الكناية عن الصفة، والموصوف، والنسبة، واختصروا أمثلته.

ومن خلال استعراض أسلوب الكناية في بعض مواطن السور التي ذكرت النساء، لن أتناول هذه التقسيمات الثلاثة، بل سوف أتناولها من خلال التنبيه أو التدليل على المعنى المهذب الجميل الذي تضفيه هذه الكنايات على هذه الآيات، على النحو الآتي:

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ

[1] انظر: الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخاني، القاهرةن ط3، 1992م، ص 66.

﴿سَلَفَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٣﴾ النساء: ٢٣، فقد جاء معنى الكناية في قوله تعالىچگ گ

ںچ عن الجماع، أو الخلوة.

وفي قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤﴾ النساء: ٢٤، فقد جاء معنى الكناية في قوله تعالى: (مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ) عما يجري بين الرجال من التماس واتباع الشهوة.

وفي قوله تعالى﴿ ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ النساء: ٣٤، فقد جاء معنى الكناية في قوله تعالىچٹٹڤچالخروج عن الاستقامة والاعتدال، وظهور المخالعة، والعناد، وكانت المقارنة بالنشز من الأرض وهو المكان المرتفع[1]، وقد بين الله أن النشوز مذموم في الرجل كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٢٨﴾ النساء: ١٢٨، والأصل في العلاقة الزوجية هي المحبة، فالله تعالى يقول: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾الروم: ٢١.

---

[1] النشز: المكان المرتفع من الأرض. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(نشز).

وقد جاء معنى الكناية في قوله تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ ﴾ النساء: ٣٤، عن الجماع.

والكناية تعرض عما يقبح ذكره، وتضرب صفحا عن المعاني التي تعف عنها الألسنة؛ لأن المعنى المجرد يتجسد بصورته في الذهن، يكنى عنه بما يصرف صورته في الواقعية عن الذهن، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ٤٣ ﴾ النساء: ٤٣، فقد جاء معنى الكناية في قوله تعالى: ٱلۡكِتَٰبَ مَا تَعۡبُدُونَ وَيُعَلِّمُهُمُ أي المكان المنخفض من الأرض[1]، وأعرض عما يستهجن ذكره، فكنى عنه بمكانه، وهو كناية عن الحدث، جريا على عادة العرب، وهو أن الإنسان منهم إذا أراد قضاء حاجة قصد مكانا فـ\منخفضا من الأرض.

وفي معنى الكناية في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا

[1] الغائط المتسع من الأرض مع طمأنينة. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(غوط).

﴿غَفُورًا ﴿٤٣﴾﴾ النساء: ٤٣ المواقعة، وقد دلت عليه القرينة، والإعراض عنه جاء لصرف الذهن عن تصوره.

ومن روائع الكناية في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾ البقرة: ٢٢٣ فلقد كنى القرآن الكريم في هذه الآية بكلمة (الحرث) عن المعاشرة الزوجية.

إن هذه الكناية الفردية مما انفرد به القرآن الكريم، فهي لطيفة دقيقة مصورة، مؤدبة مهذبة، فيها روعة التعبير وجمال التصوير، وألوان الأدب والتهذيب ما لا يستقل به بيان، ولا يدركه إلا من تذوق حلاوة القرآن. إنها عبرت عن المعاشرة الزوجية التي من شانها أن تتم في السر والخفاء بالحرث، وهذا نوع من الأدب رفيع وثيق الصلة بالمعاشرة الزوجية. فقد كنى الله تعالى عن المعاشرة الزوجية بألفاظ كريمة، وهي: السر، والحرث، والملامسة، والإفضاء، والرفث، والدخول، وغيرها [(1)].

كما جاء في قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ البقرة: ١٨٧، وقوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ النساء: ٢١. وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ المجادلة: ٣

(1) انظر: إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1980م، ص142.

وسأقوم ببيان جانبا من الملحوظات البيانية في خطاب المرأة،وهي:

أولا:العدول عن التصريح بالأسماء العلمية إلى الأسماء الموصولة:

أول الملحوظات البلاغية الظاهرة في الخطاب هي العدول عن الأسماء الظاهرة إلى الأسماء الموصولة، والضمائر المتصلة، كناية عن شخوص القصة، لأن الخطاب يعرض لجريمة آداب تمس سمعة الإنسان وثقله الاجتماعي بين الناس، ولأن الغرض العبرة من الحدث وليس فضح شخوص القصة والتشهير بهم.

وفي مقارنة للدكتور عبد الوهاب كحيل بين أسلوب عرض تحرير القرآن لوقائع قصص الجرائم الاجتماعية، وبين أسلوب الصحافة الحديثة التي تتعمد خلق الإثارة والتركيز على الفضائح،وإثارة خيال القراء والمراهقين والتشهير بالضحايا، يعلل أسلوب الكناية في القرآن الكريم بقوله: " هو من القيم الاجتماعية الجميلة، ولعدم فضح المتهمين مما يجعلهم يحترفون الجريمة بعد ذلك ويعتادونها، لأن المجتمع قد عرفهم بذلك، ويعلمنا أيضا أن الأسماء كلها لا تنشر في مثل هذه الجريمة [1].

كما لاحظ أن اسم العزيز هو إشارة لصفته الوظيفية وليس اسمه الحقيقي، يقول: فعلى المستوى الفردي لم تذكر القصة القرآنية هنا اسم العزيز، كما لم تذكر اسم العزيز ذاته، وكلمة العزيز هذه هي صفته الوظيفية وليست اسمه، بينما ذكرت اسم يوسف عليه السلام لأنه برئ، ولا غبار عليه [2].

([1]) عبد الوهاب كحيل، **الجريمة والجنس**، ط.1، دار الفكر، بيروت، 2003، ص207.

([2]) المرجع نفسه، ص 20.

والإشارة إلى هذه السيدة بلفظ (امرأته) وليس بزوج العزيز إنما جاءت لأن لفظ زوج غالباً ما ترد في القرآن تكريما للحياة الزوجية والإشارة إلى التوافق الزوجي، أو الحث عليه،إضافة إلى دلالة المساواة في الحقوق والواجبات، وهذا ما افتقده العزيز وامرأته كما يفهم من سياق القصة.

يعد استخدامه لضمير الغائب (هي) ردا منه على استخدامها لأسلوب الكناية، حين عبرت عن نفسها بـ (أهل العزيز) وكأنها غائبة عن الموقف، فلم تقل: من أراد بي سوءا، فعبر عنها بمثل أسلوبها، والتعبير عن الشخص الحاضر وكأنه غائب، ورد في خطاب بنت شعيب حين عبرت عن موسى عليه السلام بضمير الغائب [1]، فقالت " قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ "، سورة القصص الآية:26، وذلك حياء من التصريح باسمه وهذه سمة من سمات الخطاب النسائي في القرآن الكريم.وتصمت امرأة العزيز عند هذا الحد، ولا تعترض المحاكمة التي انعقدت في بيتها، بحضور الشهود الذين كانوا من أهلها، كما كان زوجها حاضرا وقائعها،ويقترح أحد الشهود، شاهد من أهلها، ملاحظة قميص يوسف عليه السلام واتجاه تمزقه لمعرفة الجاني " قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26)وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ " سورة يوسف الآية: 26–27.

ويتبين للشاهد المتكلم أن امرأة العزيز مدانة بصورة واضحة، وقد ركبها الذنب بالجرم المشهود عندما شاهدوا القميص وقد تمزق من دبر، فدل ذلك على أن فعل المطاردة وقع منها ليوسف عليه السلام، غير أن اللافت بلاغيا عند إطلاقه الحكم، هو عدوله عن توجيه التهمة إليها بصورة خاصة إلى إدانة جنس النساء، وكأنه قد أسقط في يده، وأخذ بما رأى وسمع، فنطلق بقالة

([1]) الألوسي، **روح المعاني**، ج6،ص410–411. وأنظر: غدير الشمايله، خطاب المرأة في القرآن دراسة بلاغية: ص 37.

سارت مثلا على جنس النساء، وعلى كل أمر ينكشف وراءه حضور نسوي أو مؤامرة أنثوية " فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ "سورة يوسف الآية 28.

ثانيا:العدول عن الكناية إلى التصريح:

يلاحظ أن القرآن الكريم عند ذكره لجميع النساء قد جرى مجرى الكناية لا التصريح وذلك فيما يتعلق بذكر أسمائهن، بحيث لم يصرح باسم امرأة واحدة عدا مريم بنت عمران رضى الله عنها حيث ذكر اسمها في عدة مواضع وفي سور مختلفة.

وذلك لأن اسم مريم معناه العابدة أو خادم الرب إلى هذا ذهب أكثر المفسرين[1]. وأنها أرادت لها من هذه التسمية التفاؤل لها بالخير والتقرب إلى الله تعالى والتضرع إليه تعالى بأن يكون فعلها مطابق لاسمها عليها السلام.

ويرى الألوسي أن عرض التسمية ليس غرضه التقرب إلى الله، واستدعاء العصمة لها كما يرى البعض، لأن التقرب إليه سبحانه أنما يكون بسبب العبادة ن ومجرد عرض التسمية ليس بعبادة، ولكن الغرض هو إظهار أنها غير راجعة عن نيتها، وإن ما وضعته أنثى، وإن لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه[2].

وأشار القاسمي إلى توجيه آخر لمعنى اسم مريم فقال:"لكني رأيت في تأويل الأسماء الموجودة في التوراة والإنجيل أن مريم معناه مرارة،أو مر البحر "[3].

ويقول أبو حيان الأندلسي صاحب البحر المحيط في موضع آخر:"مريم اسم عبراني، وقيل عربي جاء شاذا (كمدين)، وقياسه مرام كمنال ومعناه في العربية التي تغازل الفتيان "[1].

([1]) انظر: أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج2، ص457 . الزمخشري، الكشاف،ج1،ص350.

([2]) الألوسي، **روح المعاني**،ج2،ص 131.

([3]) القاسمي، **محاسن التأويل** ج2، ص58.

ورأى فيما نقلوه عن التوراة تشويها لمعنى الاسم، وإساءة لهذه الشخصية من قبل محرفي التوراة، والأقرب ما ذكره أبوحيان من إشارة الاسم إلى معنى (مرام) في العربية.

وهنا سأقوم بذكر رأي الدكتور وهبة الزحيلي في كتابة (التفسير المنير) حيث يقول: " قال بعض العلماء: الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا مريم هي إشارة من طرف خفي إلى رد ما قاله النصارى من أنها زوجة (أي الله سبحانه وتعالى) فإن العظيم يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس، ولينسب إليها عيسى بأعتبار عدم وجو أب له، ولهذا قال في الآية التالية " اسمه المسيح عيسى ابن مريم "(2).

هكذا يعلل الدكتور وهبة الزحيلي ورود اسم أنثى في القرآن الكريم، إنه يرى أن ورود اسمها إنما جاء لينفي وجود الأب في خلق عيسى، ولولا ذلك ما ورد اسمها، لكنني أرى أن هذا القول في غاية العجب، لأن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لم يأنف من ذكر أسماء أمهات المؤمنين في حياته وقد تداولوا أسماهن بكل احترام.

---

(1) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، ج2،ص450. وأنظر: غدير الشمايلة، خطاب المرأة في القرآن دراسة بلاغية، ص 37.

(2) وهبه الزحيلي، **التفسير المنير**، ط.1، دار الفكر، دمشق، ج3،ص 247.

النتائج:

بعد أن أنعم الله تعالى عليَّ بإكمال هذه الدراسة خلصت إلى عدد من النتائج، وهي:

أن الخطاب من المصطلحات التي اختلف حول مفهومها الكتاب والعلماء، فهناك من أسهب ووسع، ومنهم من حصر وأوجز.

تعدد أنواع الخطاب القرآني للمرأة، سواء كان خطاب العام للخاص أو العكس.و للمرأة في الخطاب القرآني خصائص تختلف عن الرجل في القرآن الكريم تبعاً للاختلافات بينهم.

توضيح المستوى الدلالي والبنائي في خطاب المرأة في القرآن الكريم، وتضمن المستوى الدلالي الحديث عن الإلوهية والرسالة والبعث.

أما المستوى البنائي، ضمنته الاستفهام، الشرط، التوكيد في خطاب المرأة، وفي الجانب التركيبي من خطاب المرأة، تناولت الدراسة التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والفصل والوصل، والتعريف والتنكير.

ثم أوضحت الدراسة المجاز في خطاب المرأة في القرآن الكريم، وتناولت الدراسة الاستعارة والتشبيه، والكنايات التي وقعت في خطاب المرأة في القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

1. **القرآن الكريم**

2. إبراهيم العريض، **الأساليب الشعرية**، دار مجلة الأديب،د.م، 1995م.

3. إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1980م.

4. إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**. تحقيق مجمع اللغة العربية. القاهرة: مطبعة مصر، 1960م.

5. أحمد بن فارس، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير عبد المحسن. ط2، ج1، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986م.

6. أحمد الشايب،**أصول النقد الأدبي**، ط2، مطبعة الاعتماد، القاهرة، د.ت.

7. أحمد بن خليل الشيباني. **مسند أحمد بن حنبل**. ج6. مصر، مؤسسة قرطبة، د. ت.

8. أحمد بن محمد الفيومي، **المصباح**، نوبليس، بيروت،2000.

9. أحمد عبد الحليم ابن تيمية. **مجموع الفتاوى**. تحقيق عبد الرحمن محمد العاصمي النجدي. ط2، ج10. مكتبة ابن تيمية، د.ت.

10. أحمد مختار: **علم الدلالة**. ط(5). القاهرة: عالم الكتب. 1998.

11. أحمد نصيف الجنابي، **البنية والأسلوب في التراكيب القرآنية وقضية الإعجاز**، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2009م.

12. إدريس حمادي. **الخطاب الشرعي وطرق استثماره**. ط1. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1994م.

13. إديت كيرزويل. **عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو**. ترجمة جابر عصفور. الدار البيضاء، 1986.

14.إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)**. ط1، ج3. بيروت: دار الأندلس، 1966م.

15.الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله حسيني، **روح المعاني**، د.ط، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 1990م.

16.الآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي **الموازنة**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، 1944م.

17.الآمدي، سيف الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سالم التغلبي، **الأحكام في أصل الأحكام**، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968م.

18.الآمدي،علي محمد. **الأحكام في أصل الأحكام**، ج1. بيروت، دار الكتب العلمية، 1980م.

19.أيوب بن موسى الحسيني الكفوي. **معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**. تحقيق: عدنان درويش محمد المصري. ط2. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1982م.

20. البحتري، **ديوان البحتري**، شرح حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995م.

21. برهان الدين البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط 1، 1995م.

22. البصري، أبو حسين محمد بن علي. **المعتمد**، د.ط، المعهد العلمي الفرنسية للدراسات العربية، دمشق، 1964.

23. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد، **أنوار التنزيل**، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.

24. تمام حسان، **البيان في روائع القران:** دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، 1993م.

25. تيمية. **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**. تحقيق محمد جميل غازي. ج1. جدة: مكتبة المدني، د.ت.

26. جابر عصفور، **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، د.ط، دار الثقافة، القاهرة، 1974م.

27. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، د.ط، دار الفكر، القاهرة، 1985م.

28. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط4، 1395هـ،1975م.

29. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**،كتاب الصلاة، تحقيق: عبد العزيز بن باز، دار التقوى، مكتبة العلم، القاهرة، 2000م.

30. حسام البهنساوي: **علم الدلالة والنظريات الدلالية الحديثة**،القاهرة، زهرة الشرق، 2009.

31. حسين سعيد الكرم. **الهادي في اللغة العربية**. ط1، ج1، دار لبنان للطباعة والنشر، 1411هـ.

32. حمادة إبراهيم، **معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية**، دار الشعب مصر، د.ت.

33. ابو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، **التفسير الكبير المسمى البحر المحيط** ، د.ط، دار الفكر القاهرة.

34. خالد الشوحه، **الحوار مع الآخر في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، الأردن، كلية الشريعة، 2007.

35. خالد موسى الدهون، **أدب الحوار العقدي في القرآن**،، رسالة دكتوراه، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن،2012م.

36. ابن خلدون. **المقدمة**. دار إحياء التراث العربي. بيروت.1408هـ.

37. خلود العموش. **الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق**. ط1. الأردن: عالم الكتب الحديث، 1429هـ.

38. خليل أحمد خليل، **مفاتيح العلوم الإنسانية**، معجم عربي – أنجليزي، ط.1، دار الطليعة، بيروت.

39. رشاد موسى، **علم نفس المرأة**، الانجلو المصرية، القاهرة، 2003م.

40.ابن رشيق القيرواني، **العمدة في صناعة الشعر ونقده**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ، 1983م.

41.ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ج1، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط5، دار الجيل، بيروت، 1981م.

42. رمزي البعلبكي. **معجم المصطلحات اللغوية**. ط1. بيروت: دار العلم للملايين، 1990م.

43. الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، ترجمة عبد الستار أحمد فراج، الكويت، د.ت.

44. الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**.ط.1. دار الكتب العلمية. بيروت. 2001م.

45. سعاد الحكيم، **خطاب المرأة القرآني**، ط1، دار المعرفة، بيروت. 1988 م.

46. سعد أبو الرضا، **في البنية والدلالة – رؤية لنظام العلاقات في اللغة العربية**– منشأة المعارف، الإسكندرية، 1988م.

47. سعد الدين التفتازاني: **مختصر العد_ شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم_**، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م.

48. سليمان السجستاني. **سنن أبي داود**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ج2. دار الفكر، د.ت.

49. سميراستيتيه، **النبابة و المجاز في القرآن الكريم**، اربد،جامعة اليرموك،اربد،2007م.

50. سيبويه، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،دار الجيل، بيروت، ط1، 1991م.

51. سيد شفيع، **التعبير البياني رؤية بلاغية نقدية**، ط.4، دار الفكر العربي، القاهرة،1995م.

52. سيد قطب. **في ظلال القرآن**. دار الشروق. بيروت. 1980م.

53. سيد قطب،**التصوير الفني في القرآن**، ط.5، دار الشروق، بيروت، 1979م.

54. السيوطي،جلال الدين، **الإكليل في استنباط التنزيل**، تحقيق: سيف الدين عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985م.

55. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر، **الإكليل في استنباط التنزيل**، تحقيق: سيف الدين عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1985م.

56. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر. **الإتقان في علوم القرآن**. ط.1.مؤسسة النداء. أبو ظبي. 2003م.

57. الشريف الرضي، **تلخيص البيان في مجازات القرآن**، تحقيق: علي محمود مقلة، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1986.

58. صبحي عمر شو، **أسلوب الشرط والقسم من خلال القران الكريم**، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2009م.

59. صلاح فضل، **علم الأسلوبية مبادئه وإجراءاته**، ط2، مؤسسة المختار، القاهرة، 1998م.

60. صلاح فضل، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 1996م.

61. الطاهر بن حسين بومزبر، **التواصل اللساني والشعرية** الدار العربية للعلوم،بيروت، 2007.

62. الطبراني، ابو جعفر محمد بن جرير **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ط.1، دار أحياء التراث العربي، بيروت، 2000م.

63. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري).** ط.1. دار أحياء التراث العربي، بيروت. 2000م.

64. عبد التواب صلاح الدين، **الصورة الأدبية في القرآن الكريم**، ط1، الشركة المصرية العالمية، مصر، 1998م.

65. عبد الجليل عبد القادر، **الأسلوبية وثلاثية الدوائر البلاغية**،ط1، دار صفاء، عمان، 2002م.

66. عبد الرؤوف المناوي.**فيض القدير**. مصر، المكتبة التجارية الكبرى، 1356هـ.

67. عبد الرحمن العسوي، **سيكولوجية النساء**، منشورات الحلبي، ط.1، بيروت، 2004م، ص275.

68. عبد الرحمن المطردي، **أساليب التوكيد في القران**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1986م.

69. عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،** تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط.1، 1420هـ –2000 م.

70. عبد السلام المسدي، ومحمد الهادي الطرابلسي، **الشرط في القرآن:** على نهج اللسانيات الوصفية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1985م.

71. عبد السلام المسدي،،**الأسلوب و الأسلوبية**، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1982م.

72. عبد العظيم ابراهيم المطعني، **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم**،مكتبة وهبه،القاهرة،1999م.

73. عبد العظيم إبراهيم المطعني، **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم**، ج 1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1999م.

74. عبد العلي محمد بن نظام الدين، **فواتح الرحموت**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

75. عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية،القاهرة،1980م.

76. عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1992م.

77. عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، دار الفكر العربي.

78. عبد الكريم بن محمد الحسن. **تجديد الخطاب الإسلامي الشكل والسمات.** ط.1، دار المسلم الرياض. 2005م.

79. عبد الوهاب كحيل، **الجريمة والجنس**، ط.1،دار الفكر، بيروت، 2003م.

80. عبده الراجحي، **علم اللغة والنقد الأدبي**، علم الأسلوب، مجلة فصول، مجلد 1، ع2، 1981م.

81. ابن العربي، **أحكام القرآن**، ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م، ج4.

82. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، **كتاب الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، دار المعرفه، بيروت 1980م.

83. عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق عبدالله الأنصاري، الدوحة، ط1، 1982م.

84. علاء الدين علي المتقي الهندي. **كنز العمال**. ط.1، دار التراث العربي، بيروت، 1988.

85. علي البطل،**الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطوراتها**، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1983م.

86. عودة خليل، **المنهج الأسلوبي في دراسة النص الأدبي**، مجلة النجاح، للأبحاث، مجلد2، ع8، 1994.

87. غدير الشمايلة، **خطاب المرأة في القران دراسة بلاغية**، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الاردنية، ايار 2007م.

88. فايز القرعان، **دراسة أسلوبية في النص القرآني**، ط.1، عالم الكتب الحديثة، إربد، 2004م.

89. فتحي ملكاوي. **الخطاب الإسلامي الحضاري**. مجلة الكلمة. العدد (12). 1417هـ.

90. الفخر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ط.2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

91. الفراهيدي، الخليل بن أحمد،**كتاب العين**، مكتبة لبنان، بيروت: 2004

92. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ط11، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1428هـ – 2007م.

93. فضل حسن عباس. **البلاغة فنونها وأمتانها وعلم المعاني**. ط2، عمان: دار الفرقان، د.ت.

94. الفيروز آباد_**تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، لبنان: دار الكتب العلمية، د. ت.

95. القاسمي،جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل**، ط.2، دار الفكر، بيروت، 1900م.

96. القاضي عبد الجبار، **متشابه القرآن**، تحقيق: عدنان زرزور، دار التراث، القاهرة، 1969م.

97. ابن قتيبة،، **تأويل مشكل القران**، ت: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت،1981.

98. القرطبي محمد أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**. د.ط. دار أحياء التراث العربي، بيروت. 1985م.

99. ابن كثير، **تفسير القران العظيم**، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1969م.

100. اللجنة الإسلامية للمرأة والطفل. **ميثاق الأسرة في الإسلام**، مصر، 1428هـ.

101. الزمخشري جاد الله أبو القاسم محمود بن عمر، **أساس البلاغة**، ط.1، المكتبة العصرية، صيدا، 2003م.

102. لشهاب محمود، **حسن التوسل**، دار الرشيد: وزارة الثقافة والإعلام: دار الحرية، بغداد: 1980.

103. لويس معلوف اليسوعي، **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، الطبعة الجديدة.

104. مجدي وهبة وكامل المهندس. **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب**. بيروت: مكتبة لبنان 1979م.

105. محمد أبو موسى، **التصوير البياني**، ط.2،مكتبة وهبة، القاهرة، 1980م.

106. محمد أحمد جزي الكلبي. **تفسير ابن الجزي**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1983م.

107. محمد التونجي، **المعجم المفصل في علوم اللغة (الألسنيات)**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1993م.

108. محمد بركات أبو علي، الإيجاز في علم المجاز،ط.1، دار الفكر،عمان،1989م.

109. محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني. **تلخيص المعاني وشرحه مختصر المعاني**. الطبعة الأخيرة. مطبعة البابي الحلبي، د.ت.

110. محمد بهادر الزركشي. **البحر المحيط**، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1413هـ.

111. محمد حسين أبو الفتوح، **أسلوب التوكيد في القران الكريم**، مكتبة لبنان، بيروت، 1995م.

112. محمد عابد الجابري، **الخطاب العربي المعاصر**. دراسة تحليلية نقدية. مركز دراسات الوحدة العربية. 1982م.

113. محمد عبد الله الحاكم النيسابوري. **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ.

114. محمد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، ط1، الشركة المصرية للنشر، مصر، 1994م.

115. محمد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، الشركة المصرية العالمية للنشر الجيزة 1994.

116. محمد عبد المطلب، **العلامة والعلامية**: دراسة في اللغة والأدب، الوطن العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، بيروت.

117. محمد علي الحسن الترمذي. **نوادر الأصول في أحاديث الرسول**،دار النور الاسلامي،بيروت،1987.

118. محمد علي الصابوني. **صفوة التفاسير**. بيروت: دار القرآن الكريم، د.ت.

119. محمد على الهاشمي. **شخصية المرأة المسلمة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة.** ط7. بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1426هـ.

120. محمد علي محمد الشوكاني. **فتح القدير**. ط.2. دار الكتب العلمية. بيروت،2003.

121. محمد عيسى الترمذي،**سنن الترمذي**. تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بيروت،1995م.

122. محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث**، ط7، نهضة مصر، القاهرة، 1996م.

123. محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. مطابع الشعب. ط1. 1378 هـ

124. محمد مفتاح، **دينامية النص (تنظير وإنجاز)**، المركز الثقافي العربي، بيروت،1987م.

125. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. **صحيح مسلم**. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. ج1. بيروت: دار إحياء التراث العربي، بيروت،1972م.

126. مصطفى شاهر، **أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز**،ط1،دار الفكر،عمان، 1430هـ-2009م.

127. مصطفى **ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي**، ط2، دار الأندلس،القاهرة، 1981م.

128. ابن منظور،، جمال الدين أبو الفضل محمد بن حزم، **لسان العرب**. الدار المصرية للتاليف و الترجمة، القاهرة: 1970.

129. منير سلطان، **الفصل والوصل في القرآن الكريم** دار المعارف، القاهرة، 1983م.

130. موسى ربابعة،، **الأسلوبية: مفاهيمها وتجلياتها**، اربد، دار الكندي، 2002م.

131. ميشال زكريا، **مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة**، بيروت، 1984م.

132. ناهد رمزي، **سيكولوجية المرأة**، الأنجلو المصرية، القاهرة، 1999م.

133. هانم حامد ياركندي. **المعالم النفسية لشخصية المرأة في القرآن الكريم**. ط1، مكة المكرمة: وزارة الإعلام، 1412 هـ.

134. وهبه الزحيلي، **التفسير المنير**، ط.1، دار الفكر، دمشق،1991.

135. يعيش، موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي، **شرح المفصل**، د.ط، عالم الكتب، بيروت،1980م.

136. يوسف أبو العدوس، **الأسلوبية-الرؤية والتطبيق-**، ط.1،دار الميسرة، عمان،2007 م.

Abstract

Woman Discourse in the holy quran

"A Stylistic Study"

Prepared by: Al Ebrahim Belal

Supervised by: Dr. Mukhaimer Saleh

This study includes four chapters..

The first chapter ids an introductory definition to the nature of the Qur'an Address and it`s characteristics ;The first article is about the concept of the address in the language and idioms ,the second article contains the types of the Qur'an address and the third article deals with the Characteristics of the Qur`anic address ,and the fourth article includes the characteristics of woman in the Qura`nic address.

The second chapter deals with the level of the formative and indicative women address in the holy Qur'an.

It is divided into an introduction, two articles and sex demands. the introduction explains the style of dialogue with women in the holy Qur'an. the first article is about the indicative level and includes the concept of loneliness, the prophet`s message and doomsday. The second article is about the formative level and includes the interrogative, condition and affirmative.

The third chapter of this study is dedicative to talk about the constructive level in four articles: The first article is about forwarding and back warding. The second article is about mentioning and omission. The third article is about linking and separating. The fourth article is about defining and negation.

The fourth chapter deals with the portraying concept of the women Address in the holy Qur'an. It includes an introduction and four articles.

The first one is about assimilation, the second is about logical irony, the third one is about metaphor and the fourth one is about the irony.